تاريخ فلسطين وجغرافيتها

المرحلة المتوسّطة

تأليف

الأستاذ رفيق شاكر النتشة

د. إسماعيل أحمد ياغي

د. عبد الفتاح حسن أبو علية

Bibliotheca Alexandrina
0093128

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تاريخ فلسطين وجغرافيتها

المرحلة المتوسطة

حقوق الطبع محفوظة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي :
بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية
برج الكارلتون ، ص.ب : ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي : موكيالي ، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس : LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان
ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف : ٦٠٥٤٣٢ ، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م

تاريخ فلسطين وجغرافيتها

المرحلة المتوسطة

تأليف

الأستاذ رفيق شاكر النتشة   د. إسماعيل أحمد ياغي

د. عبد الفتاح حسن أبو علية

الإسكندرية

956.94

٢٧٦٠١٨

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تصديــــر

ما من شك في ان القضية الفلسطينية بعامة ، وقضية القدس بخاصة ، تعد القضيـة المركـزية الأولى سواء بالنسبة للدول الاسلاميـة ، او لشعوبهـا . انها القضية التي من أجلهـا عقدت المؤتمـرات العديدة ، سواء على مستوى القمة او سائر المستويات الأخرى ، وصولاً الى تحرير فلسـطين ، وعودة اهلها الى ديارهم ووطنهم .

وكل البلدان الاسلامية كافة كرست اهتماماتها للقضية الفلسطينية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاعلامية والدينية والثقافية . ومن اهم القرارات التي اتخذتها الاقطار الاسلامية كان ذلك القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الكويت ، استنادا الى الاقتـراح الذي طـرحه الوفد السعودي بالاتفاق مع وفد منظمة التحرير الفلسطينية ، أثناء المؤتمر الذي عقده في صنعاء وزراء خارجية الـدول الاسلاميـة في ديسمبر ١٩٨٤ م . وقـد دعا هـذا القرار الى تـدريس تاريـخ فلسطين وجغرافيتها على مختلف المستويات التعليمية ، وذلـك طبقا لمـا تضمنته المنـاهج الـدراسية المقـدمة من الوفدين .

وبناء عليه ، فإنه لمن دواعي سعادتي ان اقدم هذا الكتاب ليصار الى تدريسه لأبنائنـا ، والذي قامت بتأليفه نخبة من المختصين في القضية الفلسطينية وهم سعادة الاستاذ رفيق شاكر النتشة ، سفير دولة فلسطين السابق في المملكة العربية السعودية ، والدكتور اسماعيل ياغي والدكتور عبد الفتاح ابو علية . علما بأنه سبق للمنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم (ألسكو) ان اقـرت تدريس هـذا الكتاب .

هذا ، وانني اذ اقدر للاخوة جهودهم في وضع الكتاب ، لأتضرع الى الله العلي القدير ان تجد هذه البراعم اليافعة من أجيال الأمة الاسلامية في هذا الكتاب ما يفيدها في عقولها وافئدتها ، وما ينير بصائرها ويساعدها على تدبر عاقبة امرها ونصرة قضيتهم الأولى ، قضية فلسطين . كما واتضرع اليـه تعالى ان يمنح شعب فلسطين المجاهد النصر المؤزر ويمن عليه بالقوة والمنعة لاستعادة وطنه السليب ، ويمكنه من اقامة دولته ، دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشريف . انه هو السميع العليم .

الدكتور حامد الغابد
الأمين العام
لمنظمة المؤتمر الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الامين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فهذا كتاب عن تاريخ فلسطين وجغرافيتها نقدمه لأبنائنا طلاب المرحلة المتوسطة في العالم الاسلامي راجين ان نكون قد حققنا لأبنائنا ما نرجوه ونتمناه من تقديم لأحد القضايـا المهمة وهي قضيـة فلسطين الارض المقـدسة التي باركها الله وبارك ما حولها . ففلسطين قلب العالم الاسلامي ، وفيها مدينة القدس وهي أحد مراكز الاسلام الثلاثة الرئيسية ، اذ تأتي في الأهمية الدينية بعد كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ففيهـا المسجد الاقصى قبلة الاسـلام الاولى ومسرى النبي الكريم . وقد كرم الله سبحانه وتعالى القدس وما حولها بقوله : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** ﴾ .

كما ان فلسطين بها كثير من الآثار والمقدسات الاسلامية ، وعلاوة على هذا فإن فلسطين مهد النبوات والديانات السماوية .

يتناول هذا الكتاب موضوعات متنوعة بدءاً من تاريخ فلسطين القديم منذ أقدم العصور ومروراً بفلسطين في العصور الاسلامية ، وانتهاء بفلسطين في التاريخ الحديث والمعاصر وكذلك جغرافيتها .

والله الموفق . . .

المؤلفـــون

الباب الأول

جغرافية فلسطين

ويشتمل على الفصول الآتية :

الفصل الأول :
الموقع الجغرافي لفلسطين

الفصل الثاني :
المساحة والسكان

الفصل الثالث :
الاقسام الطبيعية والمناخ

الفصل الرابع :
المجتمع الفلسطيني وأنماط حياته

الفصل الخامس :
النشاط الاقتصادي

الفصل الأول

الموقع الجغرافي لفلسطين

موقع فلسطين وحدودها :

تقع فلسطين في غرب قارة آسيا بين خطي عرض ٣٠ ٢٩ و١٥ ٣٣ شمالاً وتقع كذلك بين خطي طول ١٥ ٣٤ و٤٠ ٣٥ شرقي غرينتش ، وتمثل القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام .

ويحد فلسطين من جهة الغرب البحر المتوسط ، ومن الشرق سوريا والأردن ـ عبر خط يبتدىء شمالاً بنقطة تقع إلى الغرب مباشرة من مدينة بانياس السورية ، ثم ينحدر جنوباً محاذياً الشواطىء الشرقية لبحيرتي الحولة وطبريا ، ثم متبعاً مجرى نهر الأردن ، فمخترقاً البحر الميت من وسطه ، متجهاً بعد ذلك إلى خليج العقبة عبر وادي العربة ـ ويحد فلسطين من الشمال لبنان (في خط متعرج يبتدىء غرباً برأس الناقورة على البحر المتوسط ، ثم يتجه شرقاً إلى قرية يارون اللبنانية ، فشمالاً حتى قريتي المالكية والقدس الفلسطينيتين فالمطلة الفلسطينية ، ثم شرقاً إلى تل القاضي ـ دان ـ الى الغرب من بانياس السورية) . أما الحد الجنوبي ، فهو خط يمتد من خليج العقبة إلى نقطة تقع جنوبي رفح على شاطىء البحر المتوسط ، ويمثل الحد الجنوبي مصر .

أهمية فلسطين وموقعها :

يتوسط موقع فلسطين الجغرافي العالمين العربي والإسلامي ، وتعتبر فلسطين همزة الوصل التي تربط بين جناحي العالمين العربي والإسلامي مشرقه ومغربه . ومن هنا تكمن أهمية موقع فلسطين لأنها بمثابة القلب للعالمين العربي والإسلامي . وهكذا تعد فلسطين دائماً نقطة إرتكاز أساسية في أي عملية توحيد سياسية للأمتين العربية والإسلامية . كما أنها تشكل نقطة التقاء رئيسية بين القارات الثلاث ، آسيا وأوروبا وأفريقيا .

إن موقع فلسطين جعلها عبر التاريخ ممراً للكثير من الدول والحضارات المتعاقبة ، حتى كانت الموجة العربية الكبرى التي جاءت من شبه جزيرة العرب في القرن السابع الميلادي ، وهي تحمل معها الدعوة الإسلامية التي انتشرت في فلسطين ، وشكلت إنعطافاً حاسماً في التاريخ العربي والإسلامي . ومنذ ذلك الوقت وحتى الإغتصاب الصهيوني لفلسطين في منتصف القرن العشرين ، عاشت فلسطين أكثر من ثلاثة عشر قرناً متتالية ودون إنقطاع جزءاً من الأمة العربية الإسلامية أرضاً ولغة وتاريخاً وثقافة ومصيراً .

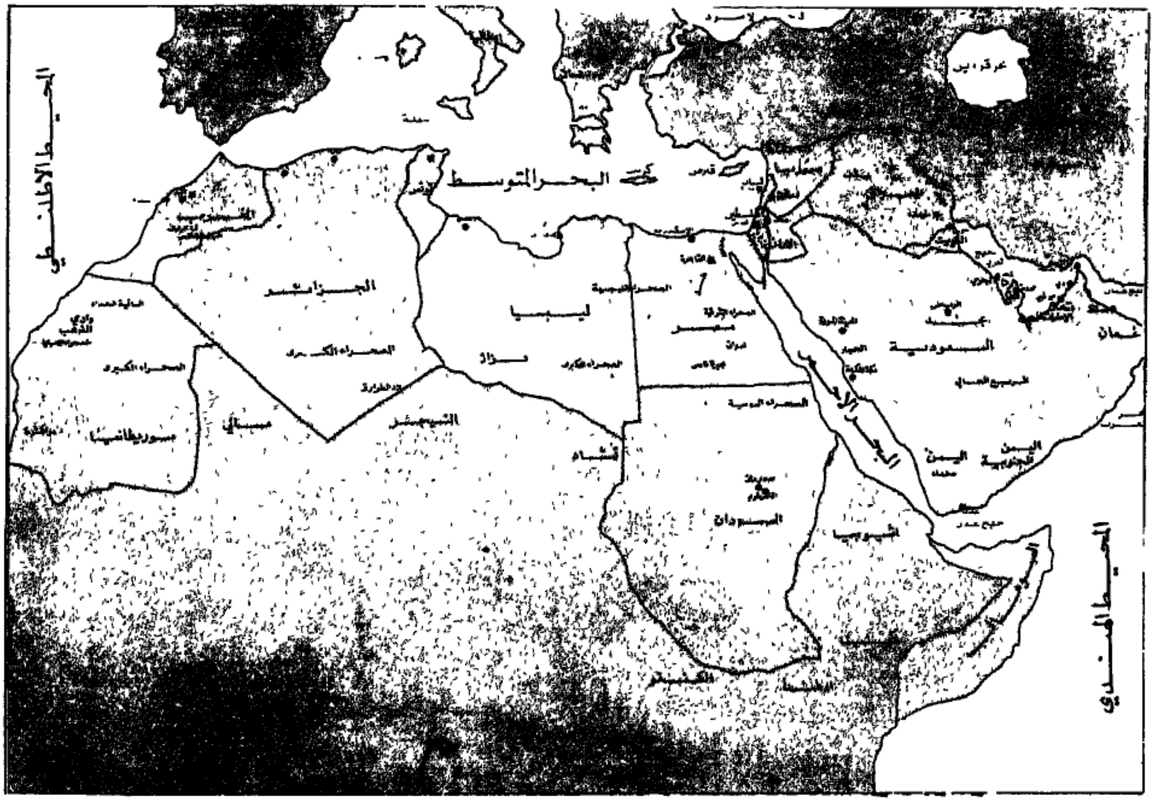

موقع فلسطين في العالم العربي الاسلامي

إن هذا الموقع الفريد الذي اعطى لفلسطين تلك المكانة الحضارية الخاصة عبر التاريخ ، أعطاها أيضاً في العصر الحديث أهمية سياسية بالغة على المستويين العربي والدولي. ذلك لأن فلسطين تتميز بكونها الارض المقدسة في نظر الأديان السماوية الثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية .

وتوجد في فلسطين مدينة القدس وهي احد المراكز الإسلامية الثلاثة الرئيسية ، إذ تأتي بعد كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ففيها المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى ومسرى النبي الكريم . وتوجد في فلسطين كذلك مدينة الخليل التي تضم قبر أبي الأنبياء إبراهيم ومسجد الحرم الإبراهيمي بالإضافة إلى عدد من المدن الفلسطينية الأخرى ومن هنا حظيت فلسطين ولا زالت باهتمام المسلمين على مر العصور ، فكانوا يدافعون عنها بالنفس والنفيس لأنهم كانوا يعتقدون أن التفريط فيها تفريط في دينهم وعقيدتهم .

الفصل الثاني

المساحة والسكان

مساحة فلسطين :

تبلغ مساحة فلسطين حوالى (٢٧,٠٠٩) كيلومتراً مربعاً أو (١٠,٤٢٩) ميلاً مربعاً ، وهي أكثر من ضعف مساحة لبنان . ويبلغ طول فلسطين من رأس الناقورة في الشمال إلى رفح في الجنوب ٢٤٠ كيلومتراً ، وعرضها نصف طولها ، فهي بلاد صغيرة جداً .

وتبلغ مساحة المسطحات المائية (٧٠٤) كيلومتراً مربعاً ، تشمل كلاً من مساحة بحيرة الحولة ، وبحيرة طبريا ونصف مساحة البحر الميت .

ولم يكن اليهود يمتلكون اكثر من ٦,٨٪ من جميع اراضي فلسطين حسب احصاء الوكالة اليهودية في عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م ، ولكن اليهود قد احتلوا من فلسطين ٧٧٪ من مساحتها أي (٢٠,٧٠٠ كم٢) . كما أن قرار التقسيم الجائر الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م قد أعطى لليهود حق تملك ٥٥٪ من مساحة فلسطين . فاستطاعوا الحصول على هذه النسبة في عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م بدعم وسند دوليين .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه النسبة التي كان يمتلكها اليهود لا تعطيهم الحق في امتلاك هذه المساحات الشاسعة من أرض فلسطين لولا المؤامرة الدولية على فلسطين .

سكان فلسطين :

تشير الإحصاءات العثمانية إلى أن العدد التقريبي لسكان فلسطين في عام ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م بـ (٦٨٩,٢٧٥) نسمة منهم ٨٪ من اليهود ، والباقي من العرب معظمهم مسلمون وفي عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م قدر عدد سكان فلسطين حسب التقرير الرسمي (٦٧٣,٠٠٠) نسمة منهم (٥٢١,٠٠٠) نسمة من المسلمين ، و(٦٧,٠٠٠) من اليهود ، و(٧٨,٠٠٠) من المسيحيين و(٧,٠٠٠) من المذاهب الأخرى . وفي الإحصاء الذي أجراه البريطانيون في عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م ، بلغ عدد السكان في فلسطين (٧٥٧,١٨٢) نسمة بينهم (٨٣,٧٩٤) يهودياً ، والباقي من العرب يعودون في أصولهم إلى العناصر العربية التي هاجرت قديماً من الجزيرة العربية وسكنت في هذه البقعة المقدسة من الوطن العربي .

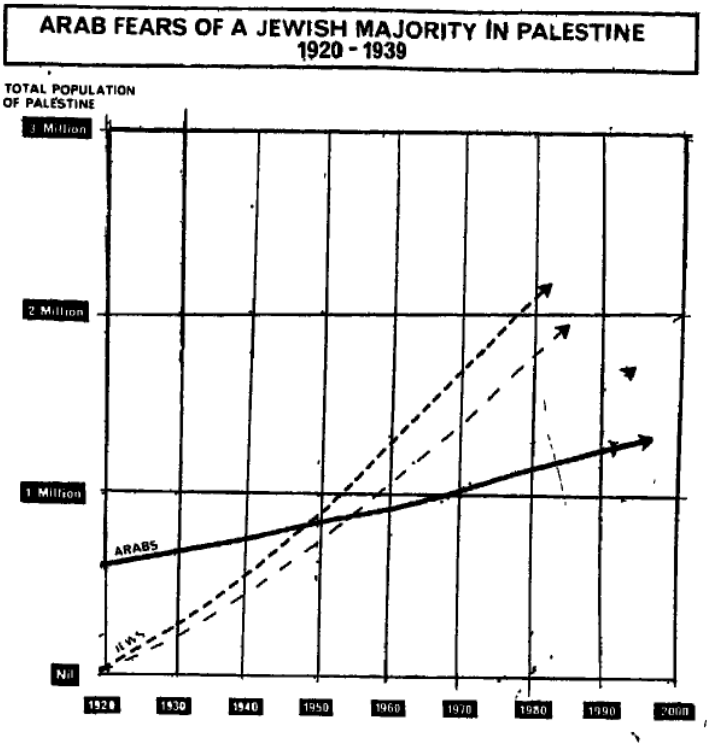

رسم بياني يوضح عدد سكان فلسطين وملكية الاراضي عام ١٩٢٧ م

وفي احصاء عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م الذي أجرته حكومة الانتداب البريطاني ، بلغ عدد السكان حوالى مليون و٣٦ ألف نسمة بينهم (١٧٤,١٦٠) يهودي ، وفي ٢١ مارس ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م قدر عدد سكان فلسطين بنحو (١,٩٣٣,٦٧٣) نسمة ، يضاف إليهم عرب بئر السبع وهم حوالى (٩١,٩٣٤) وبذلك يصل عدد السكان إلى نحو (١,٩٧٧,٦٢٦) نسمة بينهم (٦١٤,٢٣٩) يهودياً . وقفز هذا العدد ليصل في عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م إلى (٢,٠٦٥,٠٠٠) نسمة منهم (١,٤١٥,٠٠٠) عربي مسلم ، و(٦٥٠,٠٠٠) يهودي ، و(١٤٦,١٦٢) مسيحي . ويتضح من ذلك أن نسبة اليهود من مجموع السكان قد ارتفعت من ٨٪ عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م لتصل إلى ٣٣٪ عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م . ومعلوم أن هؤلاء اليهود دخلوا البلاد بالقوة خلافاً لرغبات سكانها الأصليين واعتراضهم المستمر عليها . ولذلك لا يمكن اعتبارهم كالسكان العرب مواطنين شرعيين بأي حال من الأحوال .

وعلى الرغم من تلك الهجرة الكثيفة ، فقد كانت الزيادة الطبيعية في عدد السكان العرب تساوي الزيادة الطبيعية لدى السكان اليهود ، مضافاً اليها الزيادة الناجمة عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وذلك راجع إلى أن معدل المواليد العرب وخاصة المسلمين منهم يعد من أعلى معدلات المواليد في العالم . ويبدو أن العرب قد شعروا بالخطر الداهم عليهم من تدفق الهجرات اليهودية . فاتجهوا لا شعورياً إلى الانجاب ولا زالت هذه الظاهرة تميز الفلسطينيين حتى اليوم .

الفصل الثالث

الاقسام الطبيعية والمناخ

أقسام فلسطين الطبيعية :

تقسم فلسطين من الوجهة الطبيعية إلى ثلاثة أقسام وهي السهل الساحلي والساحل والجبال والغور والصحراء . وهذه الأقسام هي :

١ ـ **الساحل** : يمتد الساحل الفلسطيني من رأس الناقورة حتى رفح في خط يكاد يكون مستقيماً ، فلا تعاريج فيه ، علاوة على ذلك فالماء غير عميق على الشاطىء فيتعذر وصول البواخر إلى البر ، كما أن استقامته منعت من وجود موانىء طبيعية ترسو فيها السفن وخاصة ابان العواصف والأنواء .

وأما السهل الساحلي فيمتد من جبل الكرمل إلى رفح ويختلف عرضه من مئتي كيلومتر عند الكرمل إلى عشرين كيلومتراً عند يافا ويبلغ عرضه عند غزة ثلاثين كيلومتراً ويمتد هذا السهل الساحلي فيما بين حيفا وعكا إلى داخل البلاد حتى يصل نهر الأردن ، ويطلق على هذا الجزء منه مرج إبن عامر ، ويخترق سهل مرج ابن عامر خطان حديديان . ويروي السهل الساحلي عدة أنهار تصب كلها في البحر المتوسط وأهمها النعامين والمقطع والزرقاء والعوجاء وروبين . ويزرع في السهل الساحلي القمح والشعير والذرة والبطيخ والبرتقال والسمسم وغير ذلك من الخضروات .

وأياً ما كان الأمر ، فإن هذا السهل الساحلي له أهمية تاريخية ، اذ أنه كان ولا يزال معبراً وبوابة لقارة آسيا من افريقيا وإليها . فكم من قائد عظيم زحف بجيوشه على هذه الأرض المستوية ، وقد صحت عزيمته على الفتح . فعلى هذا السهل رفعت أعلام صلاح الدين الأيوبي والتحم الشرق بالغرب مراراً . وهنا التقت آسيا بافريقيا وآسيا بأوروبا .

٢ ـ **الجبال** : تمتد الجبال في وسط بلادنا فلسطين مؤلفة عمودها الفقري وهي تلي السهل الساحلي مباشرة ، كما أن جبال فلسطين امتداداً لجبال لبنان باتجاه الجنوب . وتتألف المنطقة الجبلية من ثلاثة أقسام : جبال الجليل في الشمال وجبال نابلس وجبال القدس . ومن أشهر جبال الجليل جبل الجرمق بالقرب من صفد ، ومن أشهر جبال نابلس ، جبل عيبال وجبل جرزيم . وأما جبال القدس فمن أشهر جبالها جبال القدس وجبال الخليل وجبال الزيتون . وأهم الأدوية التي تخترق هذه الجبال وادي اللجون ووادي الشعير ووادي الصرار ووادي الكلت ووادي

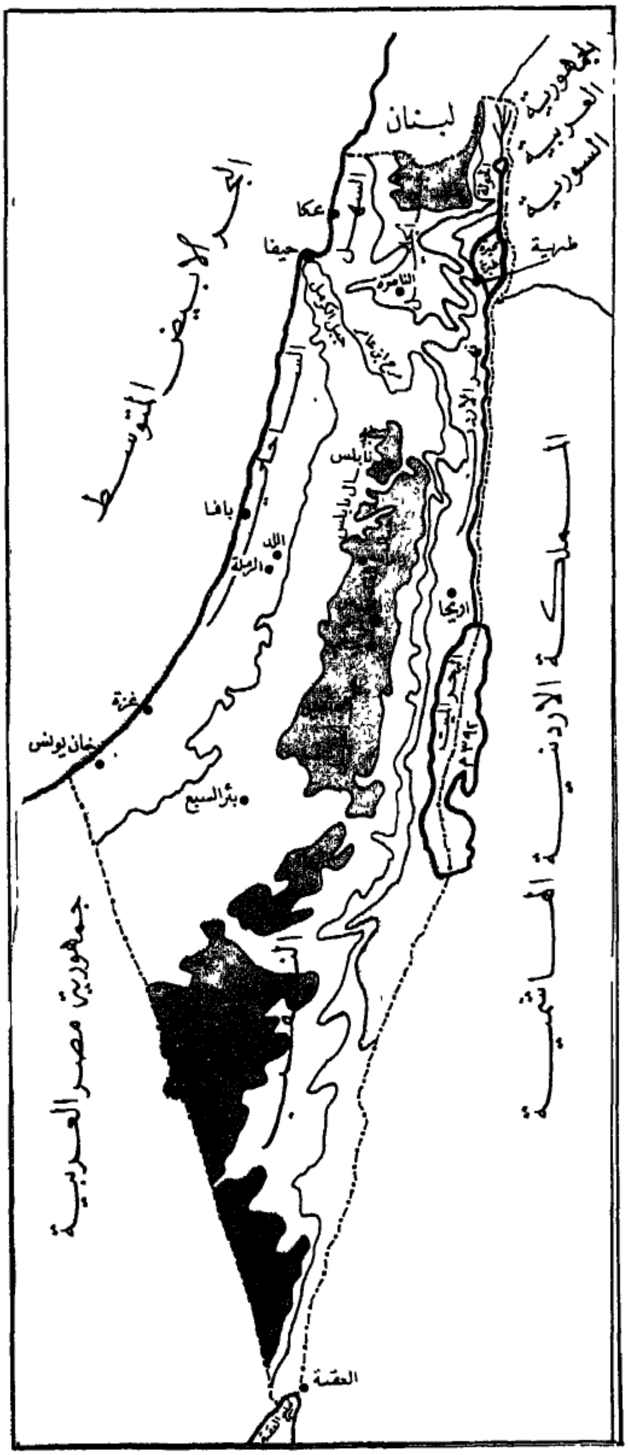

خريطة فلسطين الطبيعية

اللطرون ووادي الحسا بالقرب من غزة .

ومناخ المنطقة الجبلية بارد شتاء ومعتدل صيفاً وأشهر مزروعاتها الزيتون والعنب والتين واللوز والمشمش والتوت والخوخ والكمثري والسفرجل والجوز والخروب وفي جبال فلسطين أشجار مختلفة كالبلوط والخروب والصنوبر والسرو والكينا (الكاليبتوس) والسدر والريس والزعرور وغيرها . وتخترق الجبال من أقصاها طرق معبدة تصل مدنها ببعض كما تصلها بمدن وقرى فلسطين الأخرى .

٣ ـ الغور : وهو المنطقة التي تقع شرقي البلاد الفلسطينية ، وتفصل بين فلسطين من جهة ، وكل من سوريا شرقي الأردن من جهة اخرى ، ويخترقها نهر الأردن مع بحيراته . والغور شق عظيم سببه انفساخ هائل جرى على جه الأرض ويوجد فيه كل بحيرات فلسطين (بحيرة الحولة وبحيرة طبريا والبحر الميت) ، وأهم أنهارها نهر الأردن روافده نهر اليرموك ووادي الكلت والزرقاء . ولا يصلح نهر الاردن للملاحة لعدم عمقه ولوجود الشلالات فيه . تقع عليه ثلاثة جسور هي : جسر المجامع ، جسر اللنبي .

ويعد الغور من أخصب اراضي فلسطين ففيه يزرع القمح والقطن وقصب السكر والنخيل ، كما تكثر فيه الينابيع الحارة والآثار البركانية كما توجد حول البحر الميت وبأعماقه المعادن مثل البوتاس والكبريت والملح ويضم لغور من رفات الصحابة نذكر منهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، وضرار بن الأزور ومعاذ بن جبل .

٤ ـ منطقة بئر السبع وصحراء النقب (الصحراء الفلسطينية) : وهي تشكل القسم الجنوبي من فلسطين ، تشمل جميع الاراضي الواقعة بين قضاءي غزة والخليل وبين شبه جزيرة سيناء . ويسمّى بقضاء بئر السبع وهو يختلف في طبيعته وسكانه عن سائر البلاد وتتبعه منطقة الصحراء الفلسطينية الواقعة في جنوبه . وتقدر مساحة القضاء بنحو (١٢,٥٧٧) كيلومتراً مربعاً (أي ما يقرب من نصف مساحة فلسطين بكاملها) . ويسكن هذه المنطقة البدو الرحل وبلغ عدد سكانه (٩٧,٥٠٤) نسمة جميعهم من البدو باستثناء مدينة بئر السبع نفسها البالغ عددهم (٥٥٧٠) سمة . ومن اشهر قبائل بئر السبع هي : عرب الحناجرة وعرب الترابين والتياها والجبارات والعزازمة والسعيديون اللحيوات. ومناخ القضاء صحراوي حار جاف صيفاً ، بارد شتاء . وأهم حاصلاته الزراعية هي : الشعير والقمح الذرة والبطيخ والخضار والعنب . ويعيش بدو السبع على الرعي وأهم حيواناتهم الجمال والغنم والماعز والبغال غيرها .

ولعل من أكبر المآسي التي حلت بهذا الاقليم هو سيطرة اليهود عليه بالكامل من خلال قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٧ م في حين لم يمتلك اليهود في هذا القضاء سوى نصف بالمئة ، ويقول « جون باجوت جلوب » ان أفظع ظلامة في مشروع الأمم المتحدة هو أن « النقب » الذي يمتد من بئر السبع الى العقبة مسافة مائتي ميل أعطي لليهود في حين انه لم يكن فيه يهودي واحد . ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ قط » . كما قال بن جوريون : « انني اعتقد ان كيان اسرائيل يتوقف على النقب ، ولا كيان لها بدونه » .

مناخ فلسطين : يدخل مناخ فلسطين ضمن مناخ منطقة حوض البحر المتوسط بوجه عام ، أي انه معتدل شتاء وصيفاً ما عدا بعض المناطق . فالحرارة متنوعة ومختلفة بحسب المناطق . فالمناطق الجبلية مناخها بارد شتاء ومعتدل

صيفاً ، ومناخ الغور والصحراء دافىء شتاء حار صيفاً . وأما مناخ الساحل فهو دافىء شتاء وحار رطب صيفاً . وهناك عوامل تؤثر على مناخ فلسطين وهي الإرتفاع والإنخفاض والتعرض إما لرياح البحر أو لرياح الصحراء الجافة ، وعليه يجب النظر إلى المطر والرياح والحرارة لدراسة مدى تأثيرها على المناخ بصفة عامة . وعليه فإن الطقس يمثل حالة الجو في اليوم بينما يمثل المناخ حالة الجو من حيث الحرارة والرطوبة والرياح والأمطار في عدة سنوات أو في فترة زمنية كبيرة .

الفصل الرابع

المجتمع الفلسطيني وأنماط حياته

المجتمع الفلسطيني وأنماط معيشته :

ينقسم المجتمع الفلسطيني إلى ثلاث فئات :

أولاً : سكان المدن أو الحضر : ويتكون سكان المدن من طبقة كبار الملاك والتجار الذين يعيشون في ترف وبحبوحة من العيش ، وهناك أبناء الطبقة المتوسطة وطبقة العمال التي تعيش حياة قاسية فأجورهم لا تكفي لسد حاجاتهم . وقد طرأت تغيرات كبيرة على حياة المدن ، فقد انتشرت المدارس والمستشفيات والمطاعم والفنادق والمقاهي والمتنزهات والأندية الرياضية والثقافية ودور السينما .

وتتميز مدن فلسطين العربية بالطابع الاسلامي في فن العمارة خاصة القدس والرملة ونابلس والخليل ويافا وغزة وعكا . ويلاحظ فيها الزائر لأول مرة كثرة المساجد وضيق الشوارع وتعدد الأسواق ، وكانت مبانيها في معظم الأحيان من الحجر خاصة في المناطق الجبلية ، وفيما يتعلق بعادات سكان المدن العربية ، فتكاد تكون واحدة من حيث الأفراح والمآتم والمناسبات ومواسم الأعياد . ويبلغ عدد مدن فلسطين ٢٣ مدينة ، ويتميز سكانها بالطابع التجاري والصناعي في حياتهم . وكان هناك ١٧ مدينة عربية خالصة من حيث عدد سكانها ، ومدينة يهودية خالصة هي مدينة تل أبيب ، أما مدينتا القدس وطبريا فقد زاد عدد اليهود فيها بسبب الهجرة اليهودية .

ومن أهم مدن فلسطين في المنطقة الوسطى ، مدينة القدس ومدينة بيت لحم ومدينة الخليل ومدينة نابلس ، ومن مدن الشمال طبريا ومدينة الناصرة ومدينة صفد . أما مدن الساحل فأهمها مدينة عكا ومدينة حيفا ومدينة يافا ومدينة غزة .

وتربط مدن فلسطين وقراها طرق معبدة وسكك حديدية وغيرها من الطرق الممهدة التي تسير عليها العربات والسيارات والقطارات والحيوانات ، كما تربط فلسطين بالخارج البواخر والطائرات ، فيوجد في فلسطين ميناء حيفا الرئيسي ، ويليه ميناء يافا كما يوجد بها مطار جوي هو مطار اللد . ومن وسائل الإتصال الأخرى بفلسطين التلغراف والبريد والتليفون ومن أشهر نقوذ فلسطين الجنيه الفلسطيني ووحدته الشلن والقرش (١٠ ملات) ونصف القرش وغير ذلك . ومن أهم المكاييل والموازين الكيلوجرام والجرام وأما المقاييس فوحدتها المتر ومشتقاته والياردة والذراع .

ثانياً : سكان القرى (أهل الريف : بلغ عدد سكان القرى في فلسطين في بداية الإنتداب حوالى نصف مليون وتطور حتى وصل في نهاية عهد الإنتداب إلى حوالى (١,٤١٥,٠٠٠) نسمة منهم ٥٣٪ من العرب . وكان في فلسطين (٨٤٤) قرية عربية و(٧١) مستعمرة ريفية يهودية .

أما القرى العربية فغالبية سكانها من الفلاحين والمزارعين وبعض الحرفيين والعمال الزراعيين الذين كانوا يعيشون حياة قاسية ملؤها البؤس والشقاء ، إذ كانت سياسة حكومة الانتداب البريطاني تتركهم فريسة للديون التي تتراكم عليهم سنة بعد أخرى حتى يضطرون إلى بيع أرضهم ويتحولون الى عمال يهجرون قراهم في أغلب الأحيان الى المدن .

وكانت الغالبية العظمى من سكان القرى العربية تعيش حياة شبه عشائرية حيث كان سكان القرية يقسمون إلى عدة عشائر ، وكانت الحمولة أهم وحدة اجتماعية في حياة القرية الفلسطينية ، إذ لا يستطيع أحد من أبنائها أن يقطع أمراً هاماً من طلاق أو زواج أو سفر أو بناء بيت دون استشارة شيخ القبيلة أو مختارها الذي كان له اليد الطولى والدور الأول في إدارة شؤون الحمولة . وكان مقر اجتماعات أبناء الحمولة هو الديوان أو المضافة ويعتبر الديوان مؤسسة اجتماعية وثقافية في القرية اذ يتناقش فيها الرجال في امور معيشتهم وأحوالهم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية .

وأهم ما يميز سكان القرى العربية في فلسطين البساطة والجد في العمل والكرم والشهامة والنخوة والتزاور والمساعدة ، ولعل أهم تطور أحرزه سكان القرى العربية في عهد الإنتداب ، هو اتجاه أبنائهم إلى التعليم ، فقد ارتفع عدد المدارس الحكومية للبنين من (٢٥٤) الى (٣٥٤) مدرسة عام ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤ م ، وزاد عدد مدارس البنات من (١١) مدرسة الى (٤٦) مدرسة .

ثالثاً : سكان البادية (البدو الرحل) : بلغ عدد سكان البادية حسب إحصاء عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م حوالى (١٠٣,٣١) نسمة وكلهم من المسلمين العرب . وفي عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م قدر عددهم بحوالى (٦٦,٥٥٣) نسمة فقط . وظل هذا التقدير منسحباً عليهم حتى أواخر عهد الإنتداب . والسبب في هذا النقص الكبير في عدد سكان البادية راجع في الدرجة الأولى إلى استقرار قسم كبير منهم في قرى بئر السبع وما حولها ، وكذلك إلى هجرة قسم آخر بمواشيه إلى هضاب شرقي الأردن . ويعتمدون على إنتاج حيواناتهم والزراعة .

أما عادات وتقاليد البدو فهي تشبه الى حد بعيد عادات وتقاليد البادية في شتى أرجاء الوطن العربي . ويأتي في مقدمة عاداتهم الحميدة مثل : إكرام الضيف والتعاون في الأفراح والأحزان . وأما عاداتهم السيئة فتتمثل في العصبية القبلية والأخذ بالثأر .

الأوضاع الإقتصادية في فلسطين :

يعتمد إقتصاد فلسطين على الزراعة والصناعة والتجارة ، وسندرس هذه الأنشطة الإقتصادية بشكل مفصل .

الفصل الخامس

النشاط الاقتصادي في فلسطين

١ - الزراعة :

فلسطين بلاد زراعية عمل سكانها في إستثمار سهولها وجبالها منذ القدم وحتى أوائل القرن العشرين ، وكان معظم هؤلاء السكان يعملون في الزراعة بهدف الإكتفاء الذاتي وقوامها زراعة الحبوب وبعض الأشجار . المثمرة . وكانت أهم المحاصيل الزراعية هي الحبوب من قمح وشعير وذرة وسمسم ، وتتركز أهم مناطق زراعتها في السهل الساحلي في مرج ابن عامر وسهول غزة وبئر السبع . أما زراعة الخضروات فكانت مزدهرة في السهل الساحلي ووادي الأردن . واشتهرت السهول الداخلية ومناطق الجبال والهضاب بزراعة الاشجار المثمرة وخاصة الزيتون والعنب والبطيخ والرمان والمشمش والتفاح والتين والخوخ واللوز ومن أشهر مزروعات فلسطين البرتقال والحمضيات ، وقد اشتهرت فلسطين بانتاج البرتقال والحمضيات وتصديرها للخارج .

ومما يجدر ذكره أن فلسطين كانت تحتل المرتبة الخامسة بين دول العالم المنتجة للحمضيات عام ١٣٥٤ هـ / ١٣٥٥ ه - ١٩٣٥/١٩٣٦ م فقد وصل إنتاجها إلى ٨,٥ مليون صندوق من جملة الانتاج العالمي المقدر بـ ١٨٠ مليون صندوق صدر منها حوالى ٢٥٪ واستهلك الباقي في أسواق البلدان المنتجة .

وبلغت مساحة الأراضي القابلة للزراعة في فلسطين حوالى (٩,٢٠٥,٥٣٨) دونماً ، وذلك حسب إحصاء عام ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م ، امتلك العرب منها حوالى ٨ مليون دونم في حين امتلك اليهود مليون وربع أي بنسبة ١٢,٨٪ من الأراضي الزراعية . أما الأراضي المخصصة للمراعي فبلغت نحو ٤ ملايين دونم تعيش عليها ثروة حيوانية تقدر بحوالى (٨٣٤,٨٥٦) رأساً من الماشية عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م ، وقد ارتفع عددها ليصل إلى (٩٩٩,١٠٠) رأس في عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣ م يمتلك العرب منها (٩٣٣,٨٠٠) رأس والباقي يمتلكه اليهود . ومن هذه الحيوانات الأبقار والضأن والماعز والإبل والخيل والبغال والحمير والخنازير . وبلغت مساحة الاراضي الحرجية ٧٠٠ ألف دونم .

٢ - الصناعة :

من المعروف أن فلسطين ليست بلداً صناعياً لعدم وجود الفحم والحديد فيها ، غير أنها شهدت منذ مطلع

الباب الثاني
فلسطين عبر العصور

ويشتمل على الفصول الآتية :

الفصل الأول :
الأقوام الغازية لفلسطين قديما

الفصل الثاني :
فلسطين الاسلامية

الفصل الثالث :
حال العالم الاسلامي قبل الغزو الصليبي

الفصل الرابع :
فظائع الغزو الصليبي

الفصل الخامس :
العهد العثماني

الفصل الأول

الاقوام الغازية لفلسطين قديماً

تعرض سكان فلسطين من الكنعانيين العرب لغزوات خارجية كثيرة بحكم أهميـة موقـع بلادهم ، من جهـة وخصوبة ارضها ووفرة خيراتها وغناها من جهة ثانية . ومن أهم الأقوام التي غزت ارض فلسطين (أرض كنعـان) هم :

اليهود :

سكن اليهود مصر ابان العهد الفرعوني ، وقد عاملهم الفراعنة معاملة قاسية ، واستعبدوهم ، وشغلوهم في الأعمال الشاقة ، وأذلوهم اذلالاً كبيراً ، فأضطروا الى الهجرة من مصر تحت قيادة سيدنا موسى عليه السلام . قال تعالى : ﴿ **واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنـاءكم ويستحيون نسـاءكم ، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم** ﴾[1] .

وقد هاجر سيدنا موسى عليه السلام مع بني قومه اليهود من مصر إلى سيناء في حدود عام ١٢٦٠ قبل ميـلاد سيدنا عيسى عليه السلام . وقدر عدد اليهود الذين هاجروا مع سيدنا موسى إلى سيناء بحوالى (٥,٥٠٠) نسمـة . وقد أصابهم العطش والجوع في سيناء لأنها أرض صحراوية ، ولكن الله سبحانه وتعالى أنـزل عليهم المن والسلوى فأكلوا منها . وضرب سيدنا موسى عليه السلام الصخرة فانفجرت منها مياه صالحة للشرب ، فشربوا منها . وساق الله لهم السحب لتقيهم حرارة الشمس . قال تعالى : ﴿ **وظللنا عليكم الغمام كما وأنزلنا عليكم المن والسلوى . كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾[2] .

وعلى الرغم مما أنعم الله على اليهود في سيناء من نعم كثيرة ، إلا أنهم لم يقدروها حق قدرها ، وإنما ضربوا بها عرض الحائط ، فأذلهم الله وغضب عليهم . قال تعالى : ﴿ **واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فأدع لنا ربك يخرج لنا مما نبتت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنـة وباؤوا بغضب من الله ذلـك بأنهم كـانوا**

---

(١) من سورة البقرة الآية ٤٩ .

(٢) من سورة البقرة الآية ٥٧ .

يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[1] .

وقد كان اليهود وقتذاك يشكلون عدة قبائل أو أسباط، وقد تولى سيدنا موسى عليه السلام قيادتهم ، ونفذ أمر ربه حين أمر قومه اليهود بالهجرة إلى الارض المقدسة (فلسطين) ، وذلك من أجل تخليص قومه مما هم فيه من الذل والهوان . قال تعالى : **﴿ يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾**[2] . فأرسل رجلاً من كل قبيلة من القبائل اليهودية إلى فلسطين ليتعرفوا على أوضاعها وخيراتها وسكانها ومدى صلاحيتها لإقامة اليهود فيها . فعاد القوم الى موسى عليه السلام وهم يحملون عن أرض فلسطين انطباعاً حسناً لأن أرضها تفيض لبناً وعسلاً ، لكن فيها قوم أقوياء لا حول لليهود عليهم ولا قوة لهم على محاربتهم . فجبنوا وتمردوا على قائدهم . فغضب الله عليهم ، فتاهوا في الصحراء مدة أربعين سنة . قال تعالى : **﴿ قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فانا داخلون ﴾**[3] .

ويتضح جلياً من المعلومات التي نقلها المخبرون اليهود إلى سيدنا موسى عليه السلام عن أرض فلسطين وسكانها الكنعانيين أن فلسطين كانت تتمتع بحكم عربي كنعاني قوي ، وهي بلاد خيرات كثيرة ، وفيها حضارة عربية كنعانية زاهرة قبل أن يصل اليها اليهود الذين استفادوا فيما بعد من حضارة الكنعانيين في الزراعة والتجارة والصناعة وفن البناء .

وقد وصف الله جبن اليهود وتخاذلهم فقال : **﴿ قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ﴾**[4] . وقال تعالى : **﴿ قال فإنها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾**[5] .

الغزو اليهودي لفلسطين :

بعد مرور اربعين عاماً على تيه اليهود في صحراء سيناء ، قرر سيدنا موسى عليه السلام أن يدخل فلسطين من جهتها الجنوبية ، لكنه لم يتمكن من ذلك نظراً لمقاومة سكانها . فاضطر سيدنا موسى عليه السلام إلى طلب الاذن من ملك آدوم ملك شرقي الأردن للسماح لليهود بالمرور من أرضه أثناء هجرتهم إلى فلسطين ، ولكن سيدنا موسى عليه السلام مات قبل ان يدخل اليهود أرض فلسطين .

وقد تولى قيادة اليهود يوشع (يشوع) بعد وفاة موسى عليه السلام . فقرر أن يدخل فلسطين . فعبر مع جماعته نهر الاردن ، وحاصر مدينة اريحا الفلسطينية ، وفتحها عنوة ، وقتل معظم سكانها ودمر وأحرق بيوتها ، ونهب اليهود الأموال والممتلكات . وهكذا اتصفت غزوات العبرانيين ضد السكان العرب الكنعانيين السكان الأصليين لأرض فلسطين بالقسوة والوحشية والقتل والنهب .

---

(1) من سورة البقرة الآية ٦١ .
(2) من سورة المائدة الآية ٢١ .
(3) من سورة المائدة الآية ٢٢ .
(4) من سورة المائدة الآية ٢٤ .
(5) من سورة المائدة الآية ٢٦ .

وتجدر الاشارة هنا أن يوشع وقومه تمكنوا من اخضاع بعض المدن الكنعانيه في فلسطين ، إلا أنهم لم يتمكنوا أبداً من السيطرة على جميع المدن الكنعانية ، بل ظل الكنعانيون العرب يدافعون عن مدنهم وقراهم على الرغم من بطش اليهود وقوتهم . ولم يتمكن اليهود والعبرانيون ان يحتلوا إلا منطقة التلال في فلسطين . وظل الساحل الفلسطيني وبقية فلسطين بعيدة المنال عليهم . وظل اليهود أجيالاً كثيرة جماعة مغمورة مشغولة بمناوشات لا نهاية لها مع سكان فلسطين .

وبعد وفاة يوشع وقع اليهود تحت حكم شيوخ قبائلهم ، وسمي حكم شيوخ اليهود بحكم القضاة وبلغ عددهم (١٤) قاضياً . وامتد حكمهم فترة قرن ونصف، انتهىعام ١٠٧٠ ق.م. وفي عهد القضاة سادت الفوضى في البلاد . وزادت انقسامات اليهود ومصائبهم . ولم يتذوق اليهود طعم الحرية ، ولم يعرفوا الإستقلال الحقيقي في الحكم ، ولم يستطيعوا فتح مدينة يبوس ، وهي الإسم القديم لمدينة القدس .

سقوط مدينة يبوس :

تمكن اليهود العبرانيون من دخول مدينة يبوس عاصمة الدولة الكنعانية في فلسطين على يد سيدنا داود عليه السلام . وجعلوا منها عاصمة لدولتهم . وبنى سيدنا داود في مدينة يبوس (أورسالم) لنفسه قصراً على تل مطل ، وبنى لرجاله عدداً من البيوت من حوله . وشرع في بناء الهيكل الخاص بالعبادة لكنه توفي قبل أن يكمله ، وقد أكمله ابنه سليمان عليه السلام من بعده .

وفي عهد نبي الله سليمان عليه السلام انتعشت مدينة يبوس (أورسالم) ، وزاد العمران فيها عندما بني سيدنا سليمان عليه السلام القصور لنفسه ولنسائه ولكهنته . كما وأحاط المدينة بسور مرتفع . واتسع حكمه إتساعاً كبيراً . وبعد حكم نبي الله سليمان بأعوام قليلة أصاب الضعف دولة اليهود . وهاجمها شيشنق الفرعوني واستولى على اورسالم ونهب معظم ما بها من كنوز عام ٩٧٠ ق.م.

انقسام مملكة اليهود :

لقد تجزأت مملكة اليهود إلى قسمين هما : مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة بجوار مدينة نابلس ، وسميت هذه المملكة بمملكة الشمال . ومملكة يهودا وعاصمتها أورشالم وهي مملكة الجنوب . وامتد حكم الأولى من عام ٩٢٧ـ ٧٢١ ق.م. وفي هذه السنة تمكن الملك الاشوري سرجون الثاني من محو مملكة اسرائيل من الوجود . وامتد حكم الثانية من عام ٩٢٣ ـ ٥٨٥ ق.م. ، وفي هذه السنة حل بمملكة يهودا ما كان قد حل بمملكة اسرائيل من قبل . وقد تم هذا الإجراء على يد بختنصر الكلداني (البابلي) .

وهكذا انتهى عهدا المملكة اليهودية في الشمال والجنوب . فكانت مدة حكمها قصيرة جداً اذا ما قورنت بمدة حكم الكنعانيين العرب . وكانت دولة ضعيفة لا حول لها ولا قوة . وحل فيها الانقسام وانتابتها النكبات . وهذه المعاني تصورها الآية القرآنية الواردة في سورة الإسراء . قال تعالى : ﴿ **وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا** ﴾[1] .

---

(١) من سورة الإسراء الآية ٤ .

الآشوريون :

الاشـوريون هم بـدو من الساميـين الذين هـاجروا من الجـزيرة العـربية إلى شمـال العـراق في حـدود عـام ٣٠٠٠ ق م. وقد إمتد حكمهم إلى بلاد الشام ودفعت دولها الجزية لهم في عهد ملكهم « آشور ناصر بـال الثاني » و« تغلاث فلاسر الثاني » .

وقد هاجم الملك الآشوري « تغلاث فلاسر الثاني » فلسطين بعد أن رفض اليهود دفع الجزية له . واستولى على منطقة الجليل وعلى السهل الساحلي الفلسطيني . ولما حاول ملك اليهود « هوشع بن أيلة » آخر ملوك المملكـة اليهود الشمالية (مملكة اسرائيل) أن يتحالف مع الفراعنة في مصر ضد الآشوريين ، زحف هؤلاء على السامـرة عاصمـة الدولة اليهودية الشمالية بقيادة سرجون الثاني الآشوري عام ٧٢٢ ق.م. ودكوا أسوارها ، وسبوا أعيان المملكة وأكابر القوم وأرسلوهم الى العراق . وقدر عدد من سبوا من اليهود في حدود (٢٧,٢٨٠) نسمة . وهكذا ألحق الآشوريون باليهود الذل والمسكنة . ووقعت فلسطين تحت الحكم الآشوري مدة من الزمن .

الكلــــدان :

ينتسب الكلدان الى قبيلتهم « كلداي » السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية ونزلت في جنوبي العـراق في عهد الملك الآشوري « سنحاريب » . وقد تمكن زعيمهم « تبوبولاسر » من خلع الحكم الآشوري عن بلاده وأسس دولة كلدانية في جنوبي العراق عرفت بالدولة البابلية الجديدة او بالدولة الكلدانية . ويعد حكم « بختنصتر » الكلداني ابن (نبوبولاسر) من العهود المجيدة في التاريخ على الرغم من كثرة حروبه التي خاضها . وقد عمر طويلاً ، وكان بحق أعظم ملوك العراق في تاريخه القديم .

اكتسح « بختنصتر » بلاد الشام ودفعت له الجزية . ولما رفض اليهود تأدية الجزية « لبختنصر » وثاروا عليه ، قـرر أن يؤدبهم . فجرد حملة قـوية حـاصرت مـدينة أورسـالم (القدس) ، وبعـد حصار استسلمت المـدينة وسبى (بختنصر) عدداً كبيراً من اليهود وأرسلهم إلى العراق وهم مكبلون بالحديد .

وبعد مدة رفض اليهود الخضوع للدولة البابلية وشجعهم على ذلك المصريون مما اضطر « بختنصر » لأن يهاجم اورسالم من جديد وحاصرها مدة سنة ونصف . ثم ثغرت الأسوار وأخـذت المدينـة عنوة عـام ٥٨٥ ق.م. وأحرق « بختنصر » الهيكل اليهودي وخرب المدينة . ونقل من أهلها في حدود (٥٠,٠٠٠) نسمة أسيراً إلى بابل ، وعـرف هذا الحادث في التاريخ بالسبي البابلي لليهود. وهكذا خضعت جميع البلاد الفلسطينية للحكم الكلداني .

الفرس :

الفرس أمة شرقية لهم تاريخ كبير وحضارة قديمة راقية . وقد أسسوا دولة فارسية عظيمة شملت بـلاد فارس جميعها ، ثم بسطت نفوذها على البلاد المجاورة لها . وأخذت دولة الفرس في التوسـع التدريجي حتى شملت أرضـاً واسعة ، وأصبحت امبراطورية كبيرة سادت فترة طويلة في التاريخ القديم .

وقد ساعد اليهود الذين كانوا يقيمون في بابل كورش الفارسي في فتحه لمدينة بابل ، كعادتهم إذ أن ولاءهـم دائماً للقوي . وقد سخرهم كورش هذا لخدمته ، وعليه فقد أمر قسماً منهم بالعـودة إلى فلسطين ، كـل من يرغب منهم

ذلك ، مقابل ما قدموه وسيقدمونه له من خدمات ضد اعدائه المصريين وغيرها . فعاد من اليهود الى فلسطين في حدود (٥٠,٠٠٠) نسمة ، جلهم من الفقراء ، أما الأغنياء منهم فقد رفضوا العودة الى فلسطين ، وفضلوا البقاء الى جانب ثرواتهم واملاكهم .

وقد قاوم سكان بلاد الشام من عرب وفينيقيين وآراميين رجوع اليهود الى فلسطين لأنهم عرفوا بأنهم جيران سيئون ، لكن ضغط الفرس وقهرهم قضى على مقاومتهم ، وأجبرهم على القبول بالأمر الواقع . وقد استخدم كورش اليهود العائدين الى فلسطين جواسيس يأتون له بأخبار اعدائه ، وأصبحوا اداة طيعة له ، وأداة فعالة في بذر الشقاق والتفرقة بين خصوم كورش .

وقد تمكن قمبيز الفارسي ابن كورش من فتح مصر ، وأصبحت الامبراطورية الفارسية تمتد من النيل وبحر ايجه وشواطىء البسفور غرباً الى نهر السند شرقاً . وهكذا خضعت فلسطين كغيرها من بلاد الشام للحكم الفارسي مدة من الزمن . وقد دام حكم الفرس في فلسطين نحو مئتي سنة ، آخرها سنة ٣٣٢ ق.م.

وقد امتاز حكم الفرس في فلسطين على غيره ممن حكمها قبلهم بالعدل وادخال الاصلاحات الادارية والاقتصادية التي ساعدت على استتباب الأمن ورفع مستوى معيشة السكان في فلسطين . فقد أدخل الفرس في البلاد الفلسطينية عدداً من المزروعات الجديدة ، وعملوا على رفع مستوى الزراعة والبستنة .

اليونـــــان :

حارب الاسكندر المقدوني حاكم دولة اليونان الفرس في عدة مواضع ، واستولى على بلاد آسيا الصغرى وبلاد الشام وانتزعها بالقوة من حكم الفرس . ثم توجه الاسكندر الى فلسطين نحو مدينة أورسالم (القدس) ، وفتحت المدينة أبوابها له . ورحب به اليهود من سكانها الذين ساعدهم الفرس على العودة من بابل . ومنها توجه الاسكندر المقدوني الى غزة فامتنعت عليه فحاصرها . وقاومه العرب والفرس فيها مقاومة شديدة . وظلت المدينة محاصرة مدة شهرين وسكانها صامدون مدافعون عن مدينتهم . وقد دخلتها جيوش الاسكندر بعد أن تعبوا أشد التعب ، كما ان قائدهم الاسكندر كان قد اصيب بجرح ظل يؤلمه مدة طويلة . فأعمل الاسكندر وقواته السيف ضد سكان المدينة ، وباع من سلم من القتل بيع الرقيق .

وقد وجد الاسكندر في المدينة مجوهرات عظيمة من الذهب . كما وجد فيها مخازن للبان والبخور والصمغ والتوابل لأنها كانت المركز التجاري الرئيسي على البحر المتوسط . وقد نهب اليونان كل ما وجدوه في المدينة . وبعدها توجه الاسكندر لفتح بلاد مصر ، وقد دخل مصر بدون عناء . وبنى فيها مدينة الاسكندرية نسبة اليه ولتكون حلقة اتصال بين اليونان وبين أجزاء امبراطوريته المترامية الأطراف .

وبعد وفاة الاسكندر اختلف قواده على اقتسام امبراطوريته لأنه لم يكن له خليفة يخلفه على العرش، كما وأنه لم يترك وراءه وصية . فوقعت بين قواده الحروب والمنازعات وصارت فلسطين على اثرها عرضة لحروب أخرى . وظل الحكم اليوناني في فلسطين الى أن انتزعها منهم الرومان . وقد نشر اليونان لغتهم اليونانية وحضارتهم الهلينية في فلسطين .

الرومـــــان :

الرومان هم سكان شبه جزيرة ايطاليا الواقعة في وسط البحر المتوسط . وقد تطلع الرومان الى مناطق الشرق ، فاستولوا على الاقطار التي كانت تحت حكم اليونان . ففتحوا مقدونياً وبلاد اليونان ، واستولوا على قسم كبير من آسيا الصغرى ، ثم استولوا على سورية عام ٦٣ ق.م.

وقد حظيت فلسطين باهتمام الرومان ، فزينوا مدنها وبنوا القصور والمسارح والحمامات والملاعب والهياكل وغير ذلك من المرافق العمرانية المفيدة للسكان . وعندما اعتنق الرومان النصرانية قاموا بنشرها في البلدان الفلسطينية ، وأخذ عدد النصارى يزداد تدريجياً في ظل الحكم الروماني النصراني . واهتم الرومان بنشر ثقافتهم الرومانية ولغتهم اللاتينية في فلسطين . كما واهتموا بفتح المدارس في المدن الفلسطينية .

وقد ركز الرومان على الزراعة في فلسطين لأن أرضها خصبة وسكانها مزارعون أذكياء . فأدخلوا زراعة الزيتون وكروم العنب . واهتموا بزراعة الحمضيات والمزروعات الأخرى كالخوخ والنخيل والخضروات ، كما وزرعوا الكتان والقطن . وقد تطورت في فلسطين زراعة الحدائق وفن البستنة . وانشأ الرومان بعض القنوات واهتموا ايضاً بالغابات والحيوانات .

وقد اهتم الرومان بالصناعة والتجارة بخاصة في المدن الفلسطينية الساحلية . وقد أنشأ الرومان عدداً من المدن والبلدان الفلسطينية نذكر أهمها : ايليا كابيتولينا (القدس) وينابوليس (نابلس) وطيبارية (طبرية) وقيصرية (قيسارية) وسبسطية وغيرها من المدن الأخرى التي بناها الرومان في فلسطين .

وتجدر الاشارة ان النكبات ظلت تتوالى على اليهود العبرانيين من قبل الغزاة الذين غزوا فلسطين . فضربهم الرومان وأحرقوا هيكلهم في أورسالم في عهد الامبراطور « تيطوس » عام ٧٠ م . ثم ضربهم الرومان ثانية في عهد الامبراطور « ادريانوس » عام ١٣٥ م ، الذي أمر بمحو مدينة اورسالم محواً تاماً ، وبنى على أنقاضها مدينة جديدة وباسم جديد هو « ايليا كابيتولينا » أو « ايليا العظمى » . ولما أصبح الرومان نصارى اشتدت نقمتهم على اليهود العبرانيين لأن النصارى يعتقدون بأن اليهود العبرانيين هم قتلة السيح المسيح عيسى عليه السلام .

ولما انقسم الرومان عام ٣٩٥ م الى قسمين : الدولة الرومانية الشرقية (بيزنطة) وعاصمتها القسطنطينية ، والدولة الرومانية الغربية وعاصمتها روما ، خضعت فلسطين كلها لحكم الدولة الرومانية البيزنطية . وكان الرومان يولون على فلسطين حكاماً يحكمونها باسمهم . وجعلوا من مدينة دمشق المركز الرئيسي لهم في بلاد الشام كلها بما في ذلك فلسطين .

وجدير بالذكر ان الرومان قسموا فلسطين ادارياً الى ثلاثة اقسام هي :

أ ـ فلسطين الأولى ، وجعلوا عاصمتها مدينة قيسارية .
ب ـ فلسطين الثانية ، وجعلوا مركزها مدينة بيسان .
جـ ـ فلسطين الثالثة ، وجعلوا مركزها مدينة بتراء .

وقد ظلت الارض الفلسطينية تحت حكم الامبراطورية الرومانية فترة طويلة من الزمن الى ان فتحها المسلمون في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الفصل الثاني

فلسطين الاسلامية

فلسطين في عهد الخلفاء الراشدين :

حظيت فلسطين باهتمام المسلمين منذ مطلع الفتح الاسلامي ويعود هذا الاهتمام الى الأمور الآتية :

١ ـ لأن فلسطين بلد مقدس عند أصحاب الديانات السماوية الثلاث من اتباع سيدنا موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

٢ ـ لأنها الارض التي سرى اليها الرسول ﷺ ، ومنها عرج الى السماء ، فصارت أرض الاسراء والمعراج .

٣ ـ لأنها أرض الأنبياء ، ففيها عاش ودفن كثير من الأنبياء فاستحقت لقب أرض الانبياء .

٤ ـ لأن فلسطين تتمتع بموقع استراتيجي هام أعطاها اضافة لمكانتها الدينية بعداً أكبر وأعظم . فهي ذات موقع يربط قارات العالم القديم بعضها بعضاً ، وهي ملتقى للحضارات العالمية في حقب تاريخها المختلفة .

فتح فلسطين في عهد الخلفاء الراشدين :

مما لا شك فيه أن الأساس الأول للفتح الاسلامي يعتمد على نشر الاسلام بالدعوة الحسنة والارشاد وبالطرق السلمية ، ويتضح هذا الاسلوب في الكتاب الذي أرسله الرسول ﷺ الى هرقل قيصر الروم في بلاد الشام يدعوه فيه للدخول في الدين الاسلامي . وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ﷺ الى هرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : اسلم تسلم . . » ، وعلى هذا النهج من اسلوب السلام أرسل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كتبه الى كل من كسرى الفرس في فارس والعراق والى المقوقس في مصر (زعيم النصارى الاقباط) وإلى أمراء المناطق المجاورة للحجاز في الجزيرة العربية .

وبناء عليه فإن المسلمين لم يلجأوا إلى الغزو إلا في الحالات التي لم يفلح فيها السلام . فدخلوا القتال ضد أعدائهم وهم مرغمون على ذلك . وحتى عندما حاربوا أعداءهم كانوا رحماء على الجماعة المسالمة منهم بخاصة النساء والأطفال والشيوخ والعجزة واليتامى وغيرهم . ويتضح هذا الاسلوب في وصية أبي بكر الصديق لقائده أسامة بن زيد قائد حملة الشام حيث قال له : « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلو ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ،

ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكل وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم بالصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له . . . اندفعوا باسم الله » .

الجيوش الاسلامية تتوجه لفتح بلاد الشام :

تشكل فلسطين جزءاً من بلاد الشام ، وقد شملتها خطة الخليفة ابي بكر الرامية لفتح بلاد الشام من الروم البيزنطيين . فقد أعد أبو بكر الصديق رضي الله عنه اربعة جيوش لفتح الشام ، فوضع ابو عبيدة بن الجراح على رأس الجيش الاسلامي الموجه لفتح دمشق ، ووضع يزيد بن أبي سفيان على رأس الجيش الاسلامي الموجه لفتح منطقة البلقاء في الاردن ، ووضع شرحبيل بن حسنة على رأس الجيش الموجه لفتح الجزء الجنوبي من مناطق الاردن ، ووضع عمرو بن العاص على رأس الجيش الذي خصص لفتح فلسطين . وقد وصل كتاب أرسله ابو بكر الصديق الى قائده خالد بن الوليد الذي كان يحارب في العراق يأمره فيه بالتوجه الى بلاد الشام ليساعد جيوش المسلمين في حربها ضد الروم البيزنطية . وقد تولى خالد بن الوليد قيادة جيوش المسلمين مجتمعة في اليرموك .

وقد اوصى أبو بكر الجيوش الاسلامية بأن يكونوا صادقين في المعاملة ، أوفياء بالوعد اذا عاهدوا ، رحماء بالناس لا يتعرضون لأموالهم ولا لممتلكاتهم ولا لارواحهم . وأوصى ابو بكر قائده عمر بن العاص بالوصية التالية :

« . . . واذ قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به . . وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له » .

وقد تمكن القائد عمرو بن العاص من الانتصار على الروم البيزنطيين في فلسطين في معركة « أجنادين » قرب مدينة الرملة الفلسطينية عام ١٣ هـ / ٦٣٤ م . وتابع المسلمون بعد معركة اجنادين فتح المدن الفلسطينية واحدة تلو الأخرى ، وحاصروا مدينة « ايليا كابيتولينا » (القدس فيما بعد) عام ١٧ هـ / ٦٣٨ م ، وظل حصارهم لها طيلة فصل الشتاء الى ان قرر أهلها الاستسلام ، فانتدبوا البطريرك « صفرونيوس » ليقوم بالاتصال بالقائد ابي عبيدة بن الجراح فعرض ابو عبيدة على « صفرونيوس » احد الأمور الثلاث : الاسلام او الجزية او القتال . فقبل أهالي مدينة « ايليا كابيتولينا » طوعاً الاستسلام وفتح المدينة للمسلمين والعيش في ظل الحكم الاسلامي العادل .

وقد اشترط أهل « ايليا كابيتولينا » على أبي عبيدة أن الذي يستلم المدينة المقدسة هو عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين . فجاء عمر بن الخطاب بنفسه الى المدينة المقدسة ، فدخلها في عام ١٥ هـ / ٦٣٦ م . واتفق الطرفان على شروط الصلح والاستسلام ، ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة عرفت في التاريخ الاسلامي « بالعهدة العمرية » . فقد أعطت هذه العهدة الامان لأهل « ايليا كابيتولينا » على اموالهم وانفسهم وكنائسهم وصلبانهم ، ولا يضام أحد منهم . واشترطت العهدة أن لا يسكن « ايليا كابيتولينا » أحد من اليهود . وأن يدفع أهل المدينة المقدسة الجزية للمسلمين مقابل حمايتهم والمحافظة عليهم . وتعد الوثيقة التاريخية هذه قمة في التسامح الديني عند المسلمين ، وتدل دلالة واضحة على صدق معاملتهم وحبهم للسلام ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا من الامان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد

منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود ، وعلى أهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ، ومن أحب من اهل ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصارهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المسلمين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابي سفيان . وكتب وحضر سنة خمس عشرة » .

وقد دخل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين مدينة ايلياء في يوم الخميس من ٢٠ ربيع الأول من عام ١٥ هـ الموافق اليوم الثاني من شهر أيار من عام ٦٣٦ م ، وبعدها دخلت الجيوش الاسلامية المدينة مهللة ومكبرة « الله اكبر » .

وكأنموذج تطبيقي على ما ورد في هذه الوثيقة التاريخية فإن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لما حضرته الصلاة وهو بداخل كنيسة القيامة أثناء زيارته لها ، سأل البطريرك «صفرونيوس» عن المكان الذي يقيم فيه الصلاة ، فأجابه البطريرك : « مكانك صل » ، فأبى رضي الله عنه ان يصلي في داخل كنيسة القيامة خوفاً من أن يتخذها المسلمون مسجداً . فصلى رضي الله عنه خارجها وقال : « إنني لو أقمت الصلاة في كنيسة القيامة لوضع المسلمون عليها ايديهم في حجة اقامتي الصلاة فيها . واني لآبي أن أمهد السبيل لحرمانكم منها وأنتم بها أحق وأولى » .

لقد دخل معظم سكان فلسطين من العرب في الدين الاسلامي الحنيف بعد الفتح العمري لها . وبفضل الاسلام تقوى العرب المسلمون في فلسطين وتفوقوا على غيرهم من الاجناس الأخرى . وهكذا فقد انتشر الاسلام في فلسطين وانتشرت اللغة العربية بسرعة فائقة وفاقت اللغتين اليونانية والرومانية .

ومنذ الفتح الاسلامي لفلسطين ، أخذ المسلمون يتدفقون اليها من شتى بقاعهم للاقامة في القدس ولممارسة شعائرهم الدينية منها ، فهي ارض مقدسة ، ولذا سماها المسلمون باسم « بيت المقدس » وكان مسلمو الشام هم اول من أطلق عليها هذه التسمية الجديدة .

وقد اهتم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمر فلسطين بعامة والقدس بخاصة ، فأمر ببناء جامع كبير في القدس سمي باسمه ، ومكانه يقابل كنيسة القيامة . وهي جامع بسيط لكنه واسع وكبير ، اذ يتسع لحوالى ثلاثة آلاف من المصلين . كما وأمر رضي الله عنه بتنظيف الصخرة المشرفة واظهارها لأنها بقعة مقدسة ، وقد ظلت هذه الصخرة مهجورة وغير نظيفة طيلة العهد الروماني في القدس . وقد تتابع مجيء الصحابة رضوان الله عليهم الى بيت المقدس ، اما لزيارة مقدساتها والتعرف على معالمها وتفقد شؤونها ، واما للاقامة فيها لما لها من منزلة دينية .

فلسطين في العهد الأموي :

اهتم الامويون بأمر فلسطين ، واهتموا أيضاً برفع شأنها بخاصة مدينة بيت المقدس . فشيد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة في عام ٦٦ هـ / ٦٨٥ م . وأوقف لها خراج مصر لمدة سبع سنوات متتالية .

وقد أمر الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء قبة واسعة تغطي سقف مسجد الصخرة المشرفة عام ٧٢ هـ / ٦٩١ م . وكتب على هذه القبة عبارة تدل على انها بنيت في عهده ، فنصت العبارة على : « بنى هذه القبة عبدالله ـ عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين سنة اثنتين وسبعين . تقبل الله منه ورضي عنه » .

وجاءت قبة مسجد الصخرة آية في الفن المعماري العالمي ، فجاءت على شكل مثمن طول كل ضلع من أضلاعه عشرون متراً ، وارتفاعه عشرة أمتار . وتعد قبة الصخرة المشرفة من أهم آثار الامويين وأبدعها على الاطلاق . وتعد بحق من أعظم العمران الاسلامي في الفخامة والجمال وابداع الزخرفة وبساطة التصميم .

كما ان المآذن والمحاريب التي انشأها الامويون في الحرم القدسي الشريف كانت وقتذاك اقدم ما عرفته بلاد الشام في جوامعها لأن الامويين هم أول من استحدث المئذنة والمحراب في الجوامع الاسلامية .

وقد أعاد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك بناء مدينة القدس من جديد ، وقاما بتجميلها ، ثم اشادا فيها عدداً من المساجد والقصور . وأعادا بناء الأسوار المحيطة بالمدينة .

وقد نزل الخليفة سليمان بن عبد الملك مدينة القدس عام ٩٦ هـ / ٧٢٥ م بعد وفاة اخيه الوليد بن عبد الملك ، وأتته الوفود الاسلامية تقدم له البيعة بالخلافة كما كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يجل مدينة القدس ، واهتم بشؤونها وشؤون البلاد الفلسطينية .

فلسطين في العهد العباسي :

جلبت منزلة القدس الدينية اهتمام الخلفاء العباسيين بشؤون فلسطين ، فزارها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، فنزل في بيت المقدس عام ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م . وأمر بترميم ما أصاب الحرم الشريف من خراب بسبب الزلزلة التي حدثت عام ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م . وأصدر ابو جعفر المنصور قراراً يقضي على كل خليفة عباسي ان يزور مدينة « بيت المقدس » ولو مرة واحدة في حياته .

وقد رمم الخليفة العباسي المهدي بن المنصور ما أصاب الحرم القدسي من خراب نتيجة زلزال عام ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م ، اذوقع البناء الذي رممه الخليفة ابو جعفر المنصور يوم زيارته للقدس عام ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م .

وزار الخليفة العباسي المأمون بيت المقدس عام ٢١٦ هـ / ٨٣١ م ، وقام بترميم بعض مباني الحرم القدسي في بيت المقدس . وهكذا فقد اهتم الخلفاء العباسيون كغيرهم من الحكام المسلمين بأمر فلسطين بخاصة مدينة بيت المقدس ، فقد لقيت الكثير من عنايتهم ورعايتهم .

فلسطين في العهد الفاطمي :

اهتم الحكام الفاطميين بأمر بيت المقدس . فقد أعاد الخليفة الفاطمي الظاهر على أبو الحسن بناء قبة الصخرة عام ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، وكانت قبة الصخرة قد سقطت عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م .

وقد سقطت مدينة القدس بيد السلاجقة عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧١ م ، وطردوا الفاطميين منها ، لكن حكم السلاجقة في فلسطين لم يدم طويلاً لأن الفاطميين تمكنوا من استردادها منهم عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ، ولكن السيادة الفاطمية الثانية على فلسطين وبيت المقدس لم تكن طويلة ، وانما كانت قصيرة جداً ، اذ زحف عليها الصليبيون في صيف العام نفسه .

الفصل الثالث

الغزو الصليبي للبلاد الفلسطينية

التسمية :

سمّى الاوروبيون غزوهم هذا بالحروب الصليبية لأنهم حملوا اشارة الصليب ليطبعوا حروبهم هذه بالطابع الديني ، وليبينوا ان حروبهم هذه ما هي إلا حروب دينية نصرانية ضد المسلمين في كل مكان في الدنيا . كما انهم حملوا اشارة الصليب هذه ليرفعوها فوق البلاد التي سيحتلونها من المسلمين .

حال العالم الاسلامي قبيل الغزو الصليبي :

كانت الدولة السلجوقية التركية قد شمل نفوذها بلاد فارس والعراق والشام وآسيا الصغرى . ولكن أمر الدولة السلجوقية أخذ يضعف في الآونة الأخيرة ، بسبب ما نشب بين القادة السلاجقة من منازعات وحروب . وكانت بلاد الشام في فترة قبيل الحروب الصليبية مشهداً للانقسام والوهن ، وكانت مجزأة الى عدة مقاطعات يحكمها حكام مسلمون يتمتعون باستقلال محلي ..

أما مصر فكانت تحت سلطان الدولة الفاطمية التي كانت أيضاً في حال ضعف شديد ، وتدهور سريع نتيجة للنزاع الذي كان يقوم بين وزرائها ، ونتيجة للثورات الداخلية التي كان يقوم بها الجنود من وقت لآخر ، وما تبع ذلك من انتشار الفوضى . أضف الى هذا ما كان ينتاب البلاد من مجاعات وقحط شديدين ، وقد استمرت هذه الحالة مدة سبع سنوات .

وهكذا كان حال العالم الاسلامي في المشرق والمغرب . انقسام فيما بين حكوماتهم وحكامهم ، تمزق في وحدتهم ، ضعف في قواهم السياسية والحربية ، ضعف في اقتصادياتهم بفضل عدم الاستقرار السياسي من جهة وبفضل ضعف الأمن واستتبابه من جهة ثانية .

أسباب الغزو الصليبي :

يمكن حصر اسباب الغزو الصليبي على المسلمين بالآتي :

الأسباب الدينية :

ان الحروب الصليبية هي حرب نصرانية ضد العالم الاسلامي ، وهي حرب بين الشرق وبين الغرب ، وقد اتخذت من السبب الديني ستاراً يخفي وراءه الاسباب الاخرى : الاقتصادية والسياسية . فقد تذرع الصليبيون بحجج واهية لا تقوم على أساس صحيح . فادعى الصليبيون ان حجاجهم يتعرضون للعدوان أثناء مرورهم بالعالم وادعوا ان النصارى الذين يقيمون في الوطن الاسلامي يعاملون معاملة سيئة من قبل المسلمين ، متناسين التسامح الديني عند المسلمين ، والمعاملة الحسنة التي عامل بها المسلمون النصارى الذين يعيشون في بلادهم . وقد تمتع هؤلاء النصارى بالحرية الدينية وغير الدينية في ظل الحكم الاسلامي في حقبه المختلفة . وادعوا ان كنائسهم في المشرق الاسلامي قد تعرضت للتخريب والهدم . متناسين ان المسلمين لم يسمحوا لهم بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة فقط ، وانما سمحوا لهم ببناء عدة كنائس وأديرة جديدة .

وهكذا نلاحظ ان المسلمين لم ينتقصوا أبداً من حق النصارى ، ولا من قدرهم ، ولا من كرامتهم ، بل عاملوهم دائماً برحابة صدر . وكان نصارى المشرق الاسلامي ونصارى المغرب الاسلامي أسعد حالاً وأكثر أمناً وطمأنينة مما كان عليه إخوانهم في الدين ، نصارى أوروبا بقسميها الغربي والشرقي . ولهذا كله فإن ادعاءهم باستعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين ادعاء باطل لا يقوم على أساس من الحقيقة .

الأسباب السياسية :

لعبت الاسباب السياسية دوراً بارزاً في قيام الحروب الصليبية لأن امراء أوروبا وجدوا في هذه الحرب سبباً رئيساً في انجاح مشروعاتهم الرامية الى تأسيس امارات لهم في الشرق الاسلامي ، بخاصة في بلاد الشام وفلسطين ، وبذلك يكونون قد استقلوا عن سيطرة ملوك اوروبا ونفوذهم . وقد دفعت روح المغامرة وجني المنافع المادية هؤلاء الأمراء وفرسانهم للقيام بغزو العالم الاسلامي لتحقيق أطماعهم السياسية .

الاسباب الاقتصادية :

مما لا شك فيه ان حب الثراء والغنى دفعتا رجال الاقتصاد والمال وأصحاب السفن وأرباب التجارة للعمل على اذكاء روح الصليبية في أوروبا ضد العالم الاسلامي ، قاصدين من وراء ذلك فائدتهم الشخصية ومنافعهم المادية . وقد ساهمت المدن التجارية الايطالية مثل البندقية وجنوة وبيزا في الحروب الصليبية ضد العالم الاسلامي لتحقيق اكبر قدر ممكن من المكاسب الاقتصادية . وقد لعب تجار هذه المدن دوراً رئيساً في حركة الحروب الصليبية عندما ساعدوا امراء أوروبا وقدموا لهم خدمات جليلة أثناء حملاتهم الصليبية ضد العالم الاسلامي . وقد حصل هؤلاء التجار على امتيازات تجارية وعلى اعفاءات ضريبية من قبل الامراء الصليبيين في موانىء بلاد الشام بعد ان خضعت هذه الموانىء والمراكز التجارية للنفوذ الاوروبي والسيطرة الصليبية .

وقد ساهم عدد كبير من فقراء النصارى الأوروبيين في الحروب الصليبية إما من أجل تحقيق مكاسب مادية أو من أجل التخلص من حياة الفقر والبؤس والذل التي كانوا يحيونها في أوروبا . كما أن عدداً من المجرمين والمسجونين ساهموا في الحروب الصليبية لاقتناعهم بأن هذه المشاركة ستكفر عنهم سيئاتهم . أضف إلى هذا رغبة البابا في مد نفوذه الديني على الكنائس الشرقية في كل من سورية وفلسطين .

قال الباب اوبانوس الثاني وهو يعد للحروب الصليبية مخاطباً النصارى ما يلي : « لقد آن الاوان الذي فيه تحولون اسلحتكم ضد الاسلام . . . فالحرب المقدسة المعتمدة الآن ليست هي لاكتساب مدينة واحدة فقط ، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى . . . احملوا الصليب على عواتقكم او على صدوركم ، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم » .

ان المتتبع لدوافع الحروب الصليبية ضد العالم الاسلامي يجد أن هذه الحروب لم تكن مدفوعة بدافع روحي في المقام الأول ، وانما هي غارة نصرانية اوروبية ضد المشرق الاسلامي . وتعد الدوافع السياسية والاقتصادية هما الدافعان الحقيقيان لهذه الحروب .

الفصل الرابع

فظائع الغزو الصليبي في فلسطين

غـزا الصليبيون بـلاد الشام ، واحتلوا الـرها من أيـدي المسلمين عـام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ، وأقامـوا فيهـا مستعمرة نصرانية صليبية . ثم سقطت بأيديهم مدينة انطاكية في العام نفسه ، واحتلوا معرة النعمان ، بلد الشاعـر المسلم المعروف أبي العلاء المعري ، وارتكب الصليبيون مجزرة كبيرة ضد السكان المسلمين في معرة النعمان ، فقتلوا ما يزيد على مئة ألف مسلم من أهلها ، ثم قاموا بحرقها .

وقد حاصر الصليبيون بيت المقدس مدة أربعين يوماً والمسلمون فيها يـدافعون عنهـا بضراوة وبسـالة ، وعـلى الرغم من المقاومة الباسلة التي أبداها المسلمون المدافعون عن المدينة المقدسة بقيادة الحاكم الفاطمي افتخار الدولة ، استطاع الصليبيون دخـول المدينـة المقدسـة في مساء يـوم الخميس ٢٢ شعبان من عـام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م . وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني ، الجمعة ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ / ١٥ يوليو ١٠٩٩ م اقتحم الصليبيون المسجد الأقصى وقتلوا من فيه من المسلمين .

مذبحة بيت المقدس :

عندما دخل الصليبيون بيت المقدس ، انطلقوا في شوارع المدينة يقتلون السكـان ويعذبـونهم . كما ان الجنـد الصليبي دخلوا الدور والمساجد وأخذوا يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والاطفال والشيوخ دون تمييز . وقد استمرت المذبحة الصليبية الشنيعة ضد المسلمين في بيت المقدس طوال نهار يوم الجمعة وطوال الليل ، حتى ان الصليبيين لم يراعوا حرمة بيوت الله ، فقتلوا كل الذين احتموا بالمسجد الاقصى ، وقدر عدد من قتل من المسلمين في المسجد الاقصى وحده في حدود سبعين ألف مسلم ، منهم عدد كبير من الائمـة والعلماء . وذبح الصليبيـون عشرة آلاف مسلم في مسجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

وأخذ الصليبيون يعيثون فساداً في قبة الصخرة المشرفة ، فدمروا ونهبوا ما شـاؤوا دون ضمير رادع . وسـرق الجند الصليبي اكثر من أربعين قنديلاً من الفضة من مسجد الصخرة المشرفة ، وسرقوا مئـة وخمسين قنـديلاً فضيـاً وعشرين قنديلاً من الذهب من المسجد الاقصى .

وهكـذا خضعت مدينـة بيت المقدس للقتـل والتدمـير والتخريب من جـراء وحشية الجنـد الصليبي وقـادتهم

المتعطشين للغزو والحروب والانتقام من المسلمين الذين أهدوا الحضارة الى العالم بأسره ومن جملته اوروبا التي تهاجمهم اليوم .

لقد كانت أخلاق الصليبيين غير أخلاق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسلوكه تجاه النصارى سكان مدينة ايليأء (القدس) ، فقد عاملهم بالحسنى والمحبة ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، كل ذلك كان عن رضا وطواعية . أما المذبحة التي أقامها الصليبيون ضد المسلمين ، سكان القدس ، فهي بحق تدل دلالة واضحة على الحقد النصراني تجاه العالم الاسلامي ، فالاسلام دين التسامح مع الديانات الأخرى ، ودين المحبة من جميع الشعوب الآمنين المسالمين . يقول الدكتور غوستاف لوبون : « وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون » .

مملكة الفرنجة في القدس :

انتخب الصليبيون الامير الصليبي « غودفري » ليشرف على تنظيم امورهم في الامارة الصليبية الجديدة في القدس وذلك في ٢٥ شعبان ٣٩٢ هـ / ١٧ سبتمبر ١٠٩٩ م . ومن هذا التاريخ يبدأ حكم الدولة الفرنجية في مدينة القدس . وقد اتخذ الامير الصليبي « غودفري » لقب « حامي القبر المقدس » بعد ان رفض ان يلقب بلقب الملك . واتخذ « غودفري » من المسجد الاقصى مقراً له .

وبعد موت « غودفري » خلفه في حكم دولة الفرنجة في القدس أخوه « بلدوين » حاكم الزها . وهو أول من لقب بلقب ملك الفرنجة بعد ان توج في كنيسة المهد في « بيت لحم » في يوم عيد ميلاد المسيح عليه السلام عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م . وبعدها أصبحت دولة الفرنجة في القدس يطلق عليها « مملكة الفرنجة » . وقد امتدت دولة الفرنجة هذه في عهد « بلدوين » الى مدينة العقبة على البحر الأحمر والى « بيروت » على ساحل البحر المتوسط .

وقد خضعت مدينة القدس الى الحكم الصليبي الذي طبق فيها نظام الاقطاع . وظلت المدينة المقدسة تحت الحكم الصليبي الى أن استردها البطل المسلم السلطان صلاح الدين الايوبي في يوم الجمعة ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ / ٢ اكتوبر ١١٨٧ م .

ظهور السلطان صلاح الدين الايوبي :

ولد السلطان صلاح الدين الايوبي في تكريت في العراق من أبوين كرديين عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ، وكان والده محافظاً على بعلبك في لبنان . وذهب صلاح الدين مع عمه « شيركوه » الى مصر ، وفي مصر أخذ نجم صلاح الدين في الصعود حتى أصبح وزيراً فيها . ثم اصبح سلطاناً . وقد اتصف بالتدين وحب الاسلام والمسلمين . وكان قائداً شجاعاً حكيماً أدرك انه لا بد من توحيد العالم الاسلامي ليقف صفاً واحداً ضد الصليبيين الذين يحتلون جزءاً مهماً من الوطن الاسلامي بخاصة مدينة القدس المدينة الاسلامية المقدسة .

عمل السلطان صلاح الدين الايوبي على توحيد الصفوف بعد ان كان العالم الاسلامي ممزقاً ومفككاً مفرقاً . كما انه آمن بضرورة تحرير القدس من النصارى الذين لم يراعوا حرمتها . أراد ان يعيد للمسلمين كرامتهم وحريتهم ومقدساتهم الحبيسة بيد النصارى الصليبيين .

وعزم كل العزم بعد الاعتماد على الله ثم على قوة المسلمين الذين توحدوا تحت زعامته ان يطرد الصليبيين من كل شبر من بلاد العالم الاسلامي .

البطل المسلم
صلاح الدين الايوبي
محرر بيت المقدس
من الصليبيين

معركة حطين :

وقعت معركة حطين بين المسلمين بزعامة السلطان صلاح الدين الايوبي وبين الصليبيين المعتصبين لجزء كبير من الوطن الاسلامي قرب « طبرية » في الارض الفلسطينية . وقد شرع السلطان صلاح الدين في القتال يوم الجمعة ، وكان يفضل ان يدخل القتال في يوم الجمعة وكان دوماً موفقاً في حروبه بعون من الله تعالى . وكان اليوم الذي نشب فيه القتال يوم حر شديد فتأثر من هذا الجو الجند الصليبي الذين انهكوا من شدة العطش . فانهزم الصليبيون في المعركة عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، وانتصر صلاح ألدين عليهم وأسر أمراءهم وقوادهم ، ولكنه عفا عن معظمهم وعاملهم بالحسنى .

وبعدئذ تابع صلاح الدين سيره باتجاه مدينة القدس ، فحاصرها ولم يطل حصارها اكثر من اسبوع واحد حتى استسلمت في ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ / ٢ اكتوبر ١١٨٧ م .

وكان فتح مدينة القدس على يد صلاح الدين رنة فرح عظيم لدى العالم الاسلامي . ومرة أخرى يظهر التسامح الاسلامي على يد البطل صلاح الدين الذي أبى ان يعامل النصارى وقوادهم بمثل ما عاملوا به المسلمين عندما احتلوا القدس. ولم يعامل البطل المسلم صلاح الدين الايوبي أعداءه بالقسوة والوحشية التي عامل بها الجند الصليبي المسلمين سكان مدينة بيت المقدس ، بل اعطى الحرية لمن اراد منهم مغادرة القدس بأن يغادرها بأمان واحترام . ولم يحاول البطل المسلم أن يستغل قوته ويبطش بالنصارى كما بطشوا من قبل بالمسلمين سكان بيت المقدس . نعم لم يتشفى البطل صلاح الدين ولم ينتقم ولم يعتد على طفل او شيخ أو امرأة ، بل أبدى دروباً من التسامح الاسلامي الذي خلد اسمه في التاريخ ، وأجبر الجميع على احترامه وتقديره حتى النصارى أنفسهم .

قال رنسيمان مؤرخ الحروب الصليبية : « والواقع ان المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والانسانية ، فبينما الافرنج منذ ثماني وثمانين سنة يخوضون دماء ضحاياهم ، لم تتعرض دار من الدور للنهب ، ولم يحل بأحد من النصارى مكروه . اذ صار رجال الشرطة بناء على أوامر صلاح الدين يطوفون بالشوارع والابواب يمنعون كل اعتداء يقع على النصارى . . » وقال أيضاً : « والواقع ان رحمة صلاح الدين وعطفه كانا على نقيض أفعال الغزاة في الحملة الصليبية الاولى » .

وقد نتج عن فتح السلطان صلاح الدين الايوبي للقدس واستردادها من الصليبيين ، انهيار الكيان الصليبي في بلاد الشام ، فبدأت الامارات الصليبية في الاستسلام الواحدة تلو الأخرى .

وقد تابع سلاطين الدولة الايوبية الذين جاؤوا بعد صلاح الدين جهادهم ضد الصليبيين ، وظل الأمر كذلك الى أن تسلم المماليك الحكم ، فقاموا باخراج الصليبيين من جميع الاراضي الاسلامية ، وعادت بلاد الشام الى حوزة المسلمين بعد ان قضى المسلمون على الحروب الصليبية التي دامت قرنين من الزمان .

وهكذا استطاع البطل المسلم صلاح الدين الايوبي توحيد المسلمين وأقر الله عينه بالصلاة في المسجد الاقصى بعد تحرير بيت المقدس من الصليبيين ، واسترجاع فلسطين منهم ، واعادتها الى حظيرة الاسلام . وتوفي صلاح الدين الايوبي عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٢ م على اثر اصابته بالحمى وهو في مدينة دمشق ، وكان في سن الخامسة والخمسين . ودفن ـ رحمه الله ـ بدمشق بجوار الجامع الاموي .

الحكم المملوكي في فلسطين :

حكم المماليك فلسطين بعد الحكم الايوبي مباشرة . وقد أفلح السلاطين المماليك في تطهير بلاد الشام بما فيها فلسطين ومصر من بقايا الافرنج الصليبيين . كما انهم صدوا بقوة الغزوات المغولية المدمرة ، تلك الغزوات التي قادها عدد من المغول المتعطشين للبطش والظلم والقتال أمثال هولاكو وتيمورلنك وغيرها .

وجدير بالذكر انه لولا الموقف القوي الذي اتخذه المماليك ضد الغزوين الصليبي والمغولي لتغير مجرى الحوادث التاريخية في كل من قارتي آسيا وافريقيا بخاصة وقارة أوروبا بعامة . وهكذا فإن التاريخ يسجل للأيوبيين وللمماليك وقفتهم هذه مدافعين عن العالم الاسلامي وحامين له .

ولم يكن السلاطين المماليك قد اهتموا بالحروب فقط ، وانما شجعوا العلم والبناء الحضاري في فلسطين بخاصة في مدينة بيت المقدس . وما زالت آثار المماليك الحضارية في فلسطين ماثلة للعيان .

فقد اهتم الظاهر بيبرس بشؤون المدينة المقدسة ، فأمر بترميم قبة الصخرة المشرفة عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م وخصص سنوياً مبلغ خمسة آلاف درهم تصرف على اصلاح المسجد الاقصى ومسجد الصخرة المشرفة .

وساهم الملك المنصور سيف الدين قلاوون في اصلاح سقف المسجد الاقصى وتعميره ، وأنشأ في بيت المقدس المسجد القلندي . وأسس الرباط المنصوري عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، وأوقفه على الفقراء وزوار المدينة .

وتابع سلاطين الدولة المملوكية وامراؤهم النهج الحضاري الذي اختطه أسلافهم ، فبنوا في بيت المقدس والمدن الفلسطينية الأخرى العديد من المدارس التي كانت وقتذاك تعج بالعلماء والطلاب المسلمين من جميع انحاء العالم الاسلامي . نذكر على سبيل المثال لا الحصر : المدرسة السلامية ، والمدرسة الكريمية ، والمدرسة الامينية ، والمدرسة الوجيهية ، والمدرسة الجاولية ، والمدرسة التنكزية ، والمدرسة الملكية ، والمدرسة الفارسية ، والمدرسة الخاتونية ، ومدرسة دار القرآن السلامية ، والمدرسة الباوردية ، والمدرسة الحنبلية ، وغيرها من دور العلم .

وشيد المماليك في بيت المقدس وغيرها من المدن الفلسطينية عدداً من المساجد والقصور والحمامات والزوايا

والأربطة والتكايا للحجاج القادمين لزيارة بيت المقدس من مختلف ارجاء العالم الاسلامي . فكان العهد المملوكي في فلسطين عهد رخاء وحضارة .

وظل الحكم المملوكي في فلسطين حتى انتصر عليهم العثمانيون في معركة مرج دابق عام ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، وبذلك تمكن العثمانيون من دخول بلاد الشام بما في ذلك فلسطين ، وبدأ عهد اسلامي جديد في فلسطين ، هو العهد العثماني .

الفصل الخامس

العهد العثماني

ظل المماليك يحكمون بلاد الشام بما في ذلك فلسطين حتى عام ٩١١ هـ / ١٥١٦ م بعدها دخل العثمانيون بلاد الشام بقيادة السلطان العثماني سليم الأول الذي انتصر على المماليك في معركة مرج دابق ، ودانت له جميع بلاد الشام ، وحلت السيادة العثمانية في أرض فلسطين محل السيادة المملوكية ، ودخل السلطان سليم مدينة القدس التي سماها العثمانيون باسم « القدس الشريف » تكريماً للمدينة المقدسة ودلالة على ما تكنه قلوبهم من حب واحترام وتقدير لها .

وأصبحت القدس تشكل سنجقاً عثمانياً تابعاً لولاية دمشق في التقسيم الاداري العثماني الجديد لبلاد الشام ، وقد جعل العثمانيون من المدن الفلسطينية ، غزة وصفد ونابلس سناجق تابعة لولاية دمشق .

وقد اهتم العثمانيون بفلسطين بخاصة بمدينة « القدس » فأقاموا فيها عدة منشآت عمرانية ومشروعات خيرية ، وعمروا سور المدينة ، ورمموا قلعتها ، وأقاموا فيها السبل ليشرب منها الناس ، وأنشأوا عدداً من المدارس والمساجد .

وفي عهد السلطان سليمان القانوني اصبحت مدينة « القدس » لواءاً عثمانياً وظل السلاطين العثمانيون يواصلون اصلاحاتهم في القدس والمدن الفلسطينية الأخرى على الرغم من المشكلات التي كانوا يواجهونها .

القدس في عهد محمد علي باشا :

انفصل محمد علي باشا والي مصر عن الدولة العثمانية مستغلاً ضعف السلطة العثمانية . فوجه ابنه ابراهيم باشا لضم بلاد الشام بما في ذلك فلسطين الى سيادته . واستطاع ابراهيم باشا دخول دمشق وبعدها توجه الى القدس وأصبحت جميع بلاد الشام تابعة لمحمد علي باشا .

اهتم محمد علي باشا وابنه ابراهيم باشا بشؤون فلسطين بخاصة مدينة القدس ، وقد عمل على احلال الامن فيها كي ييسر لجميع أتباع الديانات السماوية ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية واطمئنان .

وأقام محمد علي في مدينة القدس عدة مشروعات اصلاحية ، وانشأ مجلساً استشارياً للمدينة المقدسة ليعاون

مديرها على تصريف شؤونها والنظر في احتياجاتها . وأصلح الطريق الذي يربط بين مدينة القدس وبين مدينة يافا على ساحل البحر المتوسط .

وعلى الرغم من اصلاحات محمد علي باشا في مدينة القدس والمدن الفلسطينية إلا انه فرض ضرائب كبيرة على سكان القدس ، مما ادى الى قيام ثورة أهلها ضده ، وحدث اشتباك بين الاهالي وبين جند محمد علي دام مدة سبعة ايام .

عودة فلسطين الى السيادة العثمانية :

عادت فلسطين الى السيادة العثمانية وكذلك بلاد الشام كلها عام ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م بعد ان انسحبت جيوش محمد علي من هذه البلاد وعادت الى مصر .

اهتم العثمانيون من جديد بأمر فلسطين وخصوصاً مدينة القدس ، فأعلنوا ان القدس متصرفية مستقلة عن ولاية دمشق واصبحت تتبع مباشرة وزارة الداخلية العثمانية في مدينة استانبول ، وكان هذا الاجراء قد تم عام ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م . وقد نالت القدس عناية خاصة من قبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي اهتم بشؤون الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى الشريف وزينها بالثريات الثمينة وزخرفها بأجمل الزخارف ، وفرشهما بالسجاد الفاخر .

وفي عهده مدت سكة الحديد التي تربط بين مدينة القدس وبين مدينة يافا ، مما ساعد على انتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القدس والمناطق المحيطة بها . وفي عهده ايضاً اتسع مجال العمران في المدينة حتى ان العمران امتد الى خارج سور المدينة .

واهتم السلطان عبد الحميد الثاني بشؤون التعليم في القدس فأنشأ المدرسة الرشيدية التي سميت بهذا الاسم نسبة الى رشيد بك متصرف القدس .

نهاية الحكم العثماني في فلسطين :

امتد الحكم العثماني في فلسطين قرابة اربعمائة سنة ، وبعدها دخلت القوات البريطانية مدينة القدس أثناء الحرب العالمية الاولى عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م ، وخضعت المدينة المقدسة للحكم العسكري البريطاني الذي أنشأته بريطانيا لادارة شؤون القدس وفلسطين أثناء الحرب ، وعينت الجنرال « كلايتون » مديراً عاماً للادارة العسكرية البريطانية في فلسطين ، وخضعت جميع البلاد الفلسطينية لحكم جديد هو الاستعمار البريطاني .

وكلمة لا بد منها وهي ان الحكام المسلمين في حقب تاريخهم اهتموا بأمر فلسطين وشؤون بيت المقدس ، فنشروا الاسلام فيها ، وعمموا اللغة العربية ، وحضروا مدينة بيت المقدس ، وقسموا فلسطين ادارياً إلى ادارات من اجل تنظيم شؤونها ، ورتبوا البريد فيها ، وأنشأوا الحسبة ، وعمروا الجوامع والمساجد ، وشيدوا المدارس ودور العلم ودور حفظ القرآن ، كما وشيدوا المستشفيات ، وعبدوا الطرق . وجعلوا من فلسطين جنداً مستقلاً كانت مدينة الرملة عاصمته ، وجعلوا مدينة طبريا الفلسطينية مركزاً لجند الاردن .

الباب الثالث
الاستعمار الاوروبي لفلسطين

ويشتمل على الفصول الآتية :

الفصل الأول :
الصهيونيـــــة

الفصل الثاني :
الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور

الفصل الثالث :
الانتداب البريطاني على فلسطين

الفصل الرابع :
جهاد عرب فلسطين ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني

الفصل الخامس :
الحرب العالمية الثانية ونتائجها على القضية الفلسطينية

الفصل السادس :
قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م

الفصل السابع :
اغتصاب الصهاينة للاراضي العربية في فلسطين ونتائجه

الفصل الأول

الصهيونية

ظهور الحركة الصهيونية :

الصهيونية فكرة استعمارية عدوانية ظهرت في اوروبا ، عصر صعود حركة الاستعمار العالمي والاستيطان الاوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، وتبلورت في حركة سياسية منظمة في اواخر ذلك القرن . قامت الصهيونية على مزج الدين بالقومية محولة اليهودية من مجرد ديانة سماوية الى رابطة سياسية دينية ، تهدف الى جمع يهود العالم فوق ارض شعب آخر في دولة يهودية خاصة بهم . وفي بحثهم عن الارض المطلوبة للاستيطان الصهيوني ، لم يقتصر تفكير بعض قادة الصهيونية على فلسطين وحدها . بل شمل بلاداً عديدة أخرى في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ولكن الحركة الصهيونية عادت فحصرت هدفها الاستعماري الاستيطاني في فلسطين بدعوى أن فلسطين هي أرض الميعاد التي وعد الله بها شعبه المختار .

وتبين لنا بطلان هذا الادعاء بعد أن رأينا : (١) ان اليهود القدامى كانوا مجرد قوم طارئين ذلك لأن معظم الهجرات اليها كانت من اقوام عربية . وقد سكنت فلسطين قبل مجيء اليهود اليها بزمن طويل . (٢) وان هذه الهجرات استمرت متواصلة بعد ذلك ، الى ان جاء الفتح العربي الاسلامي الذي رسخ الطابع العربي الاسلامي في فلسطين وجعلها بلداً عربياً ، أرضاً ولغة وتاريخاً وثقافة ومصيراً . (٣) ان صلة اليهود اليوم بفلسطين ما هي إلا مجرد صلة دينية روحية ، كتلك التي تربط سائر نصارى العالم ومسلميه بها .

وقد استغلت الحركة الصهيونية في نشوئها وتطورها ، عاملين رئيسيين هما : الاوضاع السيئة لليهود في بعض دول شرقي اوروبا ، والمصالح المتعاظمة لحركة الاستعمار العالمي وما نتج عن ذلك من تفاقم حدة المنافسة والصراع بين الدول الاستعمارية .

اوضاع اليهود :

كان اليهود يعيشون اوضاعاً سيئة ويعانون اضطهاداً شديداً في بعض بلاد شرق اوروبا وروسيا القيصرية ، بسبب عوامل متعددة ومتنوعة منها مثلاً : النفور الديني المتوارث عن اعتبار اليهود مسؤولين عن صلب السيد المسيح ، والتعاليم الدينية المغلقة لاجبار اليهود التي كانت تكرس فكرة « النقاء اليهودي » وتحرّم زواج اليهود بغيرهم ، مغذية

بذلك نزعة الانعزال والتعصب . ثم تضارب المصالح الاقتصادية بين شرائح المجتمعات الاوروبية وفئات معينة من اليهود ، بحكم تعامل اليهود بالربا والرشوة . ونتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية التي اصابت بنية المجتمعات الاوروبية بعد انهيار النظام الاقطاعي .

وقد قدمت الصهيونية نفسها كحل جذري عالمي شامل للاوضاع التي يعيشها اليهود في بعض بلاد اوروبا ، وذلك عن طريق تحويل الديانة اليهودية الى رابطة قومية تتجسد في وطن يهودي خاص ، ودولة يهودية خاصة . وكانت هذه الدعوة غريبة تماماً عن غالبية اليهود . فقد قدمت مبادىء الثورة الفرنسية حلاً معقولاً لاندماج اليهود في المجتمعات الغربية على قاعدة المواطنة والمساواة . ووجد هذا الحل قبولاً لدى اغلبية اليهود . ولكن الصهيونية رفضت فكرة اندماج اليهود كمواطنين في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وطرحت في مقابلها فكرة القومية اليهودية الواحدة . ونظراً الى افتقار اليهود الى عناصر هذه الوحدة القومية ، أي وحدة اللغة والتاريخ والارض ، طرحت الصهيونية أفكاراً بديلة تقوم على مرتكزات عنصرية ممثلة بفكرة « شعب الله المختار » و« العنصر اليهودي الواحد النقي » و« الرسالة اليهودية » بالاضافة الى تعميق نزعات الانغلاق الديني . وتماثل هذه الافكار في جوهرها تلك المنطلقات العنصرية التي حملتها حركات الاستعمار الاوروبية في القرن التاسع عشر الميلادي ، مثل نظريات التفوق العرقي ورسالة الرجل الابيض والتي جاء الاستعمار الاستيطاني الاوروبي في افريقيا نموذجاً مجسماً لها .

وهكذا نجد ان الصهيونية التي ادعت بأنها جاءت رداً على التمييز الديني الاجتماعي ضد اليهود في بعض المجتمعات الاوروبية ، تحولت هي نفسها الى قوة تكرس هذا الوضع وتعمقه عن طريق تغذية نزعة الانغلاق العرقي والتعصب العنصري بين اليهود . كما انها ألقت الفرد اليهودي وسط دوامة ازدواج الولاء القومي ، أي توزع ولائه بين المجتمع الذي يعيش فيه كمواطن وبين الصهيونية ومشروعاتها وسياساتها خارج حدود مجتمعه .

حركة الاستعمار العالمي وعلاقتها بالصهيونية :

كان العامل الثاني الذي ولدت الحركة الصهيونية وترعرعت في ظله ، هو المصالح المتعاظمة والمتنافسة لحركة الاستعمار العالمي . فقد شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين صعود حركة الاستعمار الاوروبي العالمي التي نمت بشكل متسارع في اثر الثورة الصناعية في أوروبا ، وبدأت تسابقاً محموماً للاستيلاء على أراضي شعوب اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وثرواتها وأسواقها . وكان من أفظع ظواهر هذه الحركة ظاهرة الاستعمار الاستيطاني واندفاعه لاغتصاب اجزاء من افريقيا وتوطين المستعمرين البيض الغرباء فيها .

ولم يكن من قبيل المصادفة ان يأتي نشوء الحركة الصهيونية ونموها مترافقين مع ذلك العصر ، ذلك بأن الحركة الصهيونية كانت بدورها أحد نماذج حركة الاستعمار الاستيطاني الاوروبي هذه ، واحدى موجاتها لاغتصاب اجزاء من فلسطين وجوارها وتوطين المستعمرين اليهود الاوروبيين فيها . وكان بعض الزعماء الصهاينة على اتصال ببعض رواد الاستعمار الاستيطاني الاوروبي آنذاك ، مثل سيسل ردوس البريطاني وغيره . وفي ظل هذه الاندفاعة الاستعمارية الاوروبية ومناخها الفكري ودوافعها السياسية والاقتصادية ، طرحت الصهيونية مشروعها لاستيطان فلسطين ، كحلقة مكملة في سلسلة عمليات الاستيطان الاوروبي .

ومن هنا كان ذلك التماثل الفريد الذي نراه اليوم بين الاستعماريين الاستيطانيين : الاوروبي في افريقيا :

والصهيوني في فلسطين ، سواء في الفكرة الأساسية أو في السياسات الداخلية والخارجية . فكما انطلق كلاهما من فكرة واحدة تقوم في جوهرها على اغتصاب أرض شعب آخر وثرواته وازالة هويته . قامت سياستهما الداخلية على التمييز العنصري ضد أصحاب الارض الشرعيين ، وقامت سياستهما الخارجية على العدوان والتوسع ومناهضة كل اتجاه تحرري .

من جهة اخرى ، كان التنافس الاستعماري على أشده بين الدول الاوروبية الكبرى داخل حركة الاستعمار العالمي ، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين : ورافق هذا التنافس سعي حثيث من قبل هذه الدول ، لايجاد قوى حليفة تستخدمها في تحقيق اهدافها الاستعمارية . وقد وجد الاستعمار البريطاني في الصهيونية اداة نموذجية لتحقيق اطماعه ومخططاته الحيوية في المشرق العربي ذي الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية الكبرى ، كما وجدت الصهيونية في هذا الاستعمار السند الدولي والقوة المادية اللذين كانت تحتاج اليهما لتحقيق مشروعها في استيطان فلسطين . وهكذا ارتبطت الصهيونية بالاستعمار العالمي في علاقة عضوية وثيقة ، رافقت تطور القضية العربية بعامة والقضية الفلسطينية بخاصة منذ نشوئهما حتى يومنا هذا .

خلفيات المشروع الصهيوني :

وفي مطلع ستينات القرن التاسع عشر الميلادي اخذ بعض المفكرين اليهود في الدعوة الى العمل من أجل العودة إلى فلسطين واستعمارها ، وكان أولهم الحاخام هيرش كاليشر (Herish Kalisher) وذلك في كتابه البحث عن صهيون الصادر عام ١٨٦١ . وكانت نتيجة جهود كاليشر الداعية إلى إنهاء الاضطهاد ضد اليهود بالهجرة الى فلسطين والاستيطان الدائم فيها . ودفعت أفكاره ونشاطاته جماعة من اليهود إلى شراء قطعة من الأرض في فلسطين حيث قامت جمعية الاليانس الاسرائيلية بانشاء مدرسة زراعية فيها لتتولى الأعداد لإقامة المستوطنات الزراعية في فلسطين . وهكذا استطاع كاليشر ان يخطو بالفكرة الصهيونية خطوة هامة الى الأمام . كما أسهم في بناء الفكر الصهيوني موسى هيس (Moses Hess) ودعا الى حل مشكلة اليهود في أوروبا بتهجيرهم إلى فلسطين وإقامة المستعمرات اليهودية فيها . وهكذا نرى أن الصهيوني المنسلخ أصلاً عن الفكر الديني اليهودي بدأ يتطور ويتبلور في إطار الفكر القومي الذي كان يسود اوروبا آنذاك . وكان من المفكرين الصهيونيين ليوبنسكر (Leo Pinisiker) الذي ألف كتاب التحرير الذاتي ودعا فيه الى هجرة اليهود من أوروبا الى أي بلد آخر وخاصة فلسطين . ونشأت جمعيات يهودية نتيجة جهوده فوحدها في حركة احياء صهيون التي حصلت على ترخيص للعمل على شراء الاراضي في فلسطين والاشراف على الهجرة اليهودية اليها .

وإلى جانب النشاط الصهيوني السياسي العملي ، كان هناك نشاط يهودي اتخذ طابع العمل الخيري الديني العام ، وتوجه إلى الاهتمام بأوضاع اليهود الاجتماعية ـ الاقتصادية واهتم ايضاً بمسألة الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي خارج نطاق الصهيونية السياسية . وفي إطار هذا النشاط اليهودي تأسست جمعية الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، والجمعية اليهودية للاستيطان وتهدف هذه الجمعيات الى مساعدة اليهود المحتاجين واقامة المستعمرات الزراعية في فلسطين وبدء حياة يهودية جديدة فيها .

ولدى استعراض معالم النشاط الصهيوني قبل مؤتمر بازل (Bazil) نستطيع ان نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ كانت الفكرة الصهيونية أقرب إلى طابع الآراء الفردية منها إلى الفكرة السياسية المتبلورة والموحدة المنطلقات والأهداف ، وكانت غالبية اليهود الساحقة تعارض هذه الفكرة .

٢ ـ كان النشاط الصهيوني العملي ضعيفاً محدود الاثر . فالجمعيات والتنظيمات الصهيونية لم تكن تمثل إلا قلة ضئيلة من يهود العالم ، وتيار الهجرة الرئيسي منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي حتى الحرب العالمية الأولى لم يكن في اتجاه فلسطين وانما في اتجاه امريكا التي استوعبت ٨٥٪ من المهاجرين اليهود . وبينما قدر عدد اليهود الذين هاجروا الى امريكا واوروبا الغربية في تلك الفترة بمليونين ونصف المليون مهاجر ، فإن عدد اليهود في فلسطين حتى نهاية القرن التاسع عشر كان (٥٠) ألفاً فقط ، ارتفع الى ٨٥ ألفاً عشية الحرب العالمية الأولى ، ثم انخفض الى (٥٦) ألفاً سنة ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م . وأما المستعمرات اليهودية التي انشئت في فلسطين في القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد كان يغلب عليها الطابع الخيري الديني اكثر من الطابع السياسي القومي .

٣ ـ كان التوجه الكلي نحو الاستعمار العالمي صفة أساسية رافقت نشوء الصهيونية منذ هذه المرحلة المبكرة ، وواكبتها في مختلف مراحل عملها ، مروراً بدبلوماسية مؤسس الصهيونية السياسية المنظمة تيودور هرتزل (زعيم الصهيونية) ودبلوماسية الزعماء الصهيونيين الذين خلفوه ، وانتهاء بسياسات اسرائيل منذ قيامها وحتى يومنا هذا . فلم يكن امام الحركة الصهيونية أي حظ من النجاح الحاسم ، لولا إقدام الإستعمار على احتضانها وانتشالها الى السطح ، لاستخدامها في تحقيق مخططاته في العالم العربي .

لقد كان ازدياد المصالح الاستعمارية للدول الاوروبية الكبرى في هذه المنطقة من العالم يقرر اهتماماً متزايداً بمشروع خلق وجود يهودي صهيوني في فلسطين . ولفهم الاطار السياسي العالمي الذي ولدت فيه الحركة الصهيونية وترعرعت ، يكفي ان نشير الى التطورات السياسية التالية : دخول التنافس الاستعماري الاوروبي مرحلة جديدة منذ حملة نابليون على سوريا ومصر في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، تزايد اهتمام بريطانيا بحماية طرق مواصلات امبراطوريتها ، ولاسيما الطريق البري الى الهند ، علاوة على تصاعد اطماع الدول الاوروبية الكبرى بسبب الاوضاع المضطربة للدولة العثمانية بعد قيام محمد علي والي مصر باحتلال سوريا وضمها الى حكمه ثم ظهور ما يسمى دبلوماسية الارساليات التنصيرية في فلسطين وسوريا في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وكذلك ازدياد الأهمية الاستراتيجية السياسية لفلسطين ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، افتتاح قناة السويس واحتلال بريطانيا لمصر .

وقد حفل القرن التاسع عشر الميلادي بالعديد من الكتابات والدعوات والمشروعات ، والتي تدور حول خلق وجود سياسي يهودي في فلسطين يكون مرتبطاً بالمصالح الاستعمارية في المنطقة ويكون عاملاً في تقسيم المنطقة العربية وتجزئتها . وفي هذا الاطار السياسي حققت الفكرة الصهيونية نقلة أساسية مهمة تمثلت بنشوء الصهيونية السياسية على يد الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل وقيام المنظمة الصهيونية العالمية .

الفصل الثاني

الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور

المنظمة الصهيونية العالمية وتيودور هرتزل :

سعى هرتزل الى عقد مؤتمر صهيوني عالمي ، وعقد بالفعل المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م وقد حضره مائتان وأربعة من مفكري اليهود واستطاع المؤتمر ان يخرج بقرارات هامة من أهمها انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين يضمنه القانون العام . وحدد المؤتمر الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض وهي :

١ ـ تشجيع الاستعمار الاستيطاني في فلسطين على أسس مناسبة من قبل العمال الزراعيين وانشاء مستعمرات زراعية وعمرانية في فلسطين .

٢ ـ انشاء منظمة تربط يهود العالم ، وذلك عن طريق منظمات محلية تابعة لها في كل بلد يتواجد فيه اليهود .

٣ ـ تقوية الشعور القومي وتعزيزه لدى اليهود .

٤ ـ اتخاذ خطوات تمهيدية من أجل الحصول على موافقة حكومة دولية لتحقيق أهداف الصهيونية .

بعد أن حددت الحركة الصهيونية هدفها المرحلي في المؤتمر الصهيوني الأول ، تكونت في بازل المنظمة الصهيونية العالمية ، وانتخب هرتزل رئيساً لها ، وبدأ على الفور باجراء اتصالات دولية فأجرى هرتزل اتصالات مع الدولة العثمانية بهدف السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، غير أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، رفض ذلك فاتجه هرتزل بعد ذلك الى كل من فرنسا وروسيا القيصرية والمانيا ولكنه فشل في محادثاته معها . ثم اتجه أخيراً إلى انجلترا ، ولكن الحكومة البريطانية رفضت تعضيد أطماع الصهيونية في فلسطين ، خشية إغضاب الدولة العثمانية ، مما جعل هرتزل يعرض مشروعات بديلة ، فاقترح على الحكومة البريطانية باستيطان جزيرة قبرص ، فرفضت بريطانيا طلبه ، كما رفضت طلباً آخر باستيطان اليهود في العريش . وعرضت بريطانيا على هرتزل اوغندا كمكان لاستيطان اليهود فيها . وقد وافق هرتزل على ذلك بينما عارضه كثير من زعماء الصهيونية . غير أن هرتزل كان قد توفي في عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م وخلفه حاييم وايزمن في زعامة المنظمة الصهيونية العالمية والذي كان له (حاييم وايزمن) نفوذ

واسع في انجلترا وتربطه بساساتها صداقات حميمة . ونتيجة لتلاقي أهداف الإستعمار التي حددها مؤتمر كامبل بانرمان في لندن عام ١٣٢٥ هـ./ ١٩٠٧ م والتي تقضي بتمزيق البلاد العربية وتفتيتها عن طريق انشاء حاجز بشري يفصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه فاغتنم وايزمن الفرصة وقدم مذكرة الى الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين كما أيده الوزير البريطاني هربرت صموئيل الذي قدم مذكرة إلى حكومته يقترح فيها تأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت إشراف بريطانيا . وقد حظيت مذكرة هربرت صموئيل بموافقة عدد من السياسيين البريطانيين أمثال بلفور ولويد جورج . ومثلت نموذجاً للتخطيط الاستعماري البريطاني الذي تمخض عنه صدور تصريح بلفور .
والواقع ان بريطانيا توصلت الى ان قيام دولة صهيونية مرتبطة بها في فلسطين ، ملتقى القارات الثلاث وقلب الوطن العربي يحقق لها عدة أغراض استراتيجية أساسية ، فهذه الدولة :

١ ـ تشكل مركزاً استراتيجياً مهماً لحماية طرق المواصلات الإمبراطورية إلى الهند وافريقيا من جهة ، وللسيطرة على سواحل البحر المتوسط والبحر الاحمر من جهة ثانية .

٢ ـ تؤمن حماية الوجود البريطاني في مصر ، وفيها قناة السويس ، أهم ممر مائي في العالم اقتصادياً وعسكرياً .

٣ ـ تكون جداراً عازلاً أمام الاطماع الاستعمارية ونقطة انطلاق الى باقي بلاد المشرق العربي .

٤ ـ تشكل قوة تعتمد على بريطانيا وتدين لها بالولاء ، وتشطر الوطن العربي وتمنع الاتصال البري بين مشرقه ومغربه .

٥ ـ تعمل هذه الدولة على استنزاف طاقات الدول العربية أولاً بأول .

ـ تصريح بلفور :

وعلى هذا الاساس التقت المصالح المشتركة بين الاستعمار والصهيونية ، ونجحت جهود وايزمن ورفاقه من السياسيين البريطانيين في جهودهما مع الحكومة البريطانية في استصدار تصريح بلفور في الثاني من نوفمبر عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م وينص هذا التصريح على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وهذا نص التصريح :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جلياً انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يقر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الاخرى » .

وجدير بالذكر ان تصريح بلفور قد حظي بموافقة الولايات المتحدة والدول الاوروبية ، وقد جاء هذا التصريح يحمل عدة التزامات متناقضة لا يمكن التوفيق بينها .

١ ـ لقد أعطت بريطانيا التي لا تملك فلسطين هذا التصريح الى الصهاينة الذين ليس لهم حق في فلسطين متجاهلة شعب فلسطين العربي المسلم دون اعتبار لحقه في تقرير مصيره .

٢ ـ كان تصريح بلفور مناقضاً للتعهدات التي قطعتها بريطانيا للعرب بالاستقلال بموجب مراسلات الحسين ـ مكماهون .

٣ ـ تجاهل التصريح وجود شعب عربي في فلسطين ، مكتفياً بالاشارة إليه بما أسماه الطوائف غير اليهودية بينما جعل الاقلية اليهودية الطارئة أساس السكان في فلسطين .

٤ ـ تجاهل تصريح بلفور الحقوق السياسية لعرب فلسطين مشيراً فقط الى الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية ، هذا في الوقت الذي اكد فيه على الحقوق السياسية لليهود في فلسطين .

٥ ـ استخدم تصريح بلفور عن عمد الوطن القومي اليهودي للايحاء بوجود صلة قومية تاريخية بين اليهود وفلسطين ، بينما كان واضحاً ان اليهود لا ينتمون الى قومية واحدة . وان اليهود اليوم هم ليسوا من أصل اليهود القدماء .

٦ ـ حمل تصريح بلفور التزامات متضاربة لا يمكن التوفيق بينها . فهناك تناقض حتمي بين تأييد فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وبين اشتراط عدم الاجحاف بحقوق سكانها العرب .

ولكن السياسة البريطانية قد تطورت تجاه الصهيونية من العطف كما جاء في تصريح بلفور عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م الى الالتزام بتنفيذ ما جاء في التصريح ، وذلك في أعقاب الاحتلال البريطاني لفلسطين بقيادة الجنرال اللنبي الذي دخلت جيوشه القدس في ١١ ديسمبر ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م ، أي بعد فترة وجيزة من اعلان ذلك التصريح . وأعلن اللنبي الاحكام العسكرية ، وشكل ادارة عسكرية تتولى شؤون البلاد . وقد اتصفت فترة الحكم العسكري في فلسطين بثلاث مظاهر رئيسية هي : الحكم المطلق ، وسيطرة العناصر اليهودية على الادارة العسكرية ، والمحافظة على بعض الأنظمة العثمانية في ادارة البلاد والتي كانت تخدم اهداف ومصالح الاحتلال العسكري ومصالحه في فلسطين .

ومهما كان الأمر ، فإن الصهاينة لم يكتفوا باستصدار تصريح بلفور ، بل عملوا جاهدين من خلال توافق سياستهم مع السياسة الاستعمارية البريطانية على كسب تأييد الدول الكبرى الاخرى لذلك التصريح لكي يكسب شرعية دولية ، وقد اثمرت جهودهم تلك قبل صدور التصريح نفسه ، حينما جاء أول تأييد دولي من رئيس الولايات المتحدة الامريكية ولسون . وفي ١٤ فبراير عام ١٩١٨ وافقت عليه فرنسا كما أيدته واعترفت به ايطاليا في ٩ مايو من العام نفسه .

ولم يمض وقت طويل على انتهاء الحرب العالمية الأولى، واستسلام تركيا عام ١٣٣٧ هـ تاريخ ٣٠ اكتوبر ١٩١٨ م حتى قرر المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح في باريس في عام ١٣٣٨ هـ يناير ١٩١٩ م عدم امكانية اعادة المقاطعات العربية المحتلة ومنها فلسطين الى الحكم العثماني .

وفي عام ١٣٣٩ هـ تاريخ ٢٥ ابريل ١٩٢٠ م قرر مجلس الحلفاء المنعقد في سان ريمو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وقبل ان تصادق عصبة الأمم على هذا القرار كانت بريطانيا قد سارعت في الأول من تموز (يوليو) عام ١٩٢٠ م الى اقامة ادارة مدنية لتحكم بواسطتها فلسطين ، وعيّنت اول مندوب سام لها هناك احد كبار الصهاينة البريطانيين هو السير هربرت صموئيل والذي كان له اليد الطولى في اصدار وعد بلفور . وهكذا تشكلت الادارة المدنية الجديدة التي اخذت على عاتقها تنفيذ السياسة البريطانية بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وذلك اثناء فترة الانتداب البريطاني على فلسطين .

الفصل الثالث

الانتداب البريطاني على فلسطين

ما ان صدر قرار مؤتمر سان ريمو لدول الحلفاء ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م بـالموافقـة على تصـريح بلفـور وانتداب بريطانيا على فلسطين ، حتى سارعت الدبلوماسية البريطانية والصهيونية الى العمـل في عصبة الأمم للحصـول على صك الانتداب البريطاني يكون بمثابة تصديق دولي رسمي لذلك القرار ويتضمن الخطوات الكفيلة بتنفيـذ تصريـح بلفور ، أي بناء الوطن القومي اليهودي باشراف الانتداب البريطاني .

وقد وضعت مسودات صك الانتداب ، كتصريح بلفور بالتشاور السري بـين الحكومـة البريـطانية الى مؤتمـر الصلح في باريس قد طلب من المنظمة الصهيونية العالمية ان تصوغ مقترحاتها بشأن الانتداب على فلسطين في مشروع متكامل فوضعته وقدمته إلى الحكومة البريطانية عام ١٣٣٨ هـ تاريخ ١٥ يوليو ١٩١٩ م ، فأدخلت هذه فيه بعض التعـديلات وقـدمته إلى عصبـة الامم عام ١٣٣٩ هـ تـاريخ ٦ ديسمبـر ١٩٢٠ م . وفي عـام ١٣٤٠ هـ اغسـطس ١٩٢١ م قدمته الحكومة البريطانية الى البرلمان البريطاني . فأدخل فيه تعديلات اخرى وجوبه بمعارضة داخلية ، لكنه في النهاية صودق عليه في مجلس العموم عام ١٣٤٢ هـ تاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ م . وكان من أسباب التأخير في اقرار صك الانتداب أيضاً محاولة تسوية المسائل السيـاسية العالقة في نطاق المصالح الاستعمارية المتنافسة لدول الحلفاء ، فسويت مشكلة الحدود السورية الجنوبية بين بريطانيا وفرنسا . وتقرر فصل شرقي الاردن في امارة خاصة ، كما سوى الموقف مع الولايات المتحدة الامريكية على أساس اعتراف بريطانيا بمصالحها الاقتصادية والثقافية في المنطقة وضمن صك الانتداب في المعاهدة الانجلو ـ أمريكية بهذا الخصوص .

صك الانتداب :

تكون صك الانتداب من مقدمة و٢٨ مادة وكان هو الدستور الاستعماري الصهيوني الـذي حكمت بموجبـه فلسطين طوال فترة الانتداب البريطاني . وقـد تضمنت المقدمـة نص تصريـح بلفور ، ومصـادقة عصبـة الأمم على انتداب بريـطانيا عـلى فلسطين مـع تحميلها مسؤوليـة تنفيذ التصـريح ، وتـأكيد الصلة التـاريخية التي تـربط اليهود بفلسطين ، والاسباب التي تدعو الى اعادة انشاء وطنهم القومي اليهودي ، وشكلت مخططاً متكاملاً لتحقيق ذلك من لنواحي السياسية والادارية والاقتصادية والثقافية .

فقد نصت المادة ٢ على اعطاء الدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة ، واعتبرتها مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي . . وصيانة الحقوق المعيشية والدينية لجميع سكان فلسطين . ونصت المادة ٤ على انشاء وكالة يهودية معترف بها لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الأمور التي تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي . ونصت المادة ٦ على ان « على ادارة فلسطين ، مع عدم الحاق الضرر بحقوق الفئات الأخرى من السكان ووضعها ، وان تسهل هجرة اليهود . . وان تشجع حشدهم في الاراضي الاميرية والاراضي الموات » . ونصت المادة ٧ على ان يشتمل قانون الجنسية على نصوص تسهل اكتساب اليهود الجنسية الفلسطينية . وتشير المادة ١١ على انه يمكن للادارة البريطانية ان تتفق مع الوكالة اليهودية على ان تقوم الوكالة بانشاء او تسيير الاشغال والمصالح والمنافع العمومية وتطوير مرافق البلاد الطبيعية ، وجاء في المادة ٢٢ على ان تكون الانكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين . واختصت المواد ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ بمسؤولية الدولة المنتدبة (بريطانيا) عن المحافظة على الاماكن المقدسة ، وضمان الوصول اليها وكيفية الفصل في الحقوق الدينية ، وكفالة الحرية الدينية للجميع . اما المواد ١ و٣ و١٢ و١٧ ، فقد تناولت المصالح البريطانية اذ جردت الاكثرية العربية الساحقة من حقوقها السياسية ، وأعطت بريطانيا السلطة التامة في التشريع والادارة ، وتشجيع الحكم المحلي بقدر ما تراه هي موافقاً ، والاشراف على العلاقات الخارجية لفلسطين ، وتنظيم القوات اللازمة للمحافظة على السلام ، والدفاع عن البلاد ، واستخدام طرق فلسطين وسككها الحديدية ومرافئها لتحركات القوات المسلحة اما المادة ٢٥ فقد اعطت الدولة المنتدبة الحق ، بموافقة عصبة الأمم ، في ان ترجىء أو توقف تطبيق ما تراه غير قابل للتطبيق من هذه المواد على المنطقة الواقعة شرقي نهر الاردن . ومن ثم وافق مجلس عصبة الأمم على استثناء منطقة شرقي الاردن من تطبيق مواد صك الانتداب المتعلقة بانشاء الوطن القومي اليهودي ، كما وافق على تخويل بريطانيا المسؤولية الكاملة عن الانتداب على شرقي الاردن . وقد تم هذا الاجراء على الرغم من ان شرقي الاردن كان جزءاً من ولاية دمشق (أو سوريا) الى نهاية العهد العثماني ، وجزءاً من سوريا الداخلية الى آخر العهد الفيصلي .

كان صك الانتداب وثيقة سياسية بالغة الخطورة ، والمستند الذي بررت به بريطانيا سياستها الصهيونية ، على أساس أنه تعهد دولي ملزم فوضت عصبة الأمم اليها أمر تنفيذه . وقد تضمن هذا الصك مخططاً مدروساً لاقامة الوطن القومي اليهودي الذي نص عليه تصريح بلفور ، وخصصت مواده الرئيسية لضمان المصالح الصهيونية والبريطانية كما انه احتوى ازدواجية تصريح بلفور وتناقضاته نفسها :

١ ـ فقد كان صك الانتداب تجاهلاً صريحاً لواقع فلسطين التاريخي والقومي . وقد اتضح من اللمحة التاريخية لهذا الكتاب بطلان ما أشارت اليه مقدمة الصك من « تأكيد الصلة التاريخية التي تربط اليهود بفلسطين » واتخاذها أساساً لاعتبار فلسطين وطناً قومياً لليهود .

٢ ـ وكان صك الانتداب تجاهلاً صريحاً للاكثرية العربية الساحقة التي لم تأت على ذكر وضعها وحقوقها ، إلا بشكل منقوص جداً وعرضي ، هذا بينما كان عددها في فلسطين وقت صدور الصك يفوق ٩٠٪ من مجموع السكان ، واليهود دون ١٠٪ ولا تكاد ترتفع املاكهم الى ٢٪ من الاراضي .

٣ ـ كان الصك خرقاً لاتفاقية حسين ـ مكماهون التي تعهدت بريطانيا بموجبه باستقلال البلاد العربية بعد الحرب ،

على الرغم من الادعاء البريطاني بأن فلسطين قد استثنيت من تلك الاتفاقية وطعناً لكل التعهدات المتعددة الأخرى التي قطعتها بريطانيا والحلفاء للعرب في أثناء الحرب العالمية الأولى .

٤ ـ كذلك ، كان الصك مخالفة لميثاق عصبة الامم (بحسب ما جاء في المادة ٢٢) الذي جعل لرغبة السكان الاصليين المقام الأول في اختيار الدولة المنتدبة . فالعرب وهم السكان الاصليون والاغلبية الساحقة ، لم يختاروا بريطانيا . بل ان المنظمة الصهيونية العالمية هي التي اختارتها .

أما من وجهة نظر الحركة الصهيونية ، فقد كان صك الانتداب تنفيذاً لمطلبها المرحلي الاساسي آنذاك وهو : المصادقة الدولية على تصريح بلفور ، وانشاء الوطن القومي اليهودي باشراف بريطانيا وحمايتها ذلك بأن تصريح بلفور كان عطفاً او وعداً من بريطانيا ، أما صك الانتداب فقد اعتبر وثيقة دولية ملزمة . وهكذا ، كان صك الانتداب وليد التآمر الاستعماري الصهيوني في اطار منظمة الأمم المتحدة . وفي ظل هذه الوثيقة الدولية التي مثلها صك الانتداب ، راح الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية يكملان العمل الذي بدآه منذ الاحتلال البريطاني ، ودخلت فلسطين مرحلة جديدة من الكفاح الدامي المستمر ، مقاومة للتهويد ومحافظة على عروبة البلاد .

سياسة بريطانيا في تهويد فلسطين :

في عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٠ م ، بادرت بريطانيا الى انهاء الادارة العسكرية ، وقيام ادارة مدنية محلها ، وتعيين الوزير اليهودي البريطاني السابق السير هربرت صموئيل (Herbert Samuel) أول مندوب سام لها على فلسطين وصموئيل هو احد أقطاب الصهيونية في بريطانيا ، وهو الذي طالب بوضع فلسطين تحت السيطرة البريطانية وبناء دولة يهودية فيها . وكان تعيينه في هذا المنصب بمثابة تأكيد عملي لالتزام الحكومة البريطانية بالصهيونية ، وعزمها على تنفيذ تصريح بلفور . ظل صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين خمسة أعوام ، وشرع منذ وصوله في وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية وادارية تؤدي الى قيام الوطن القومي اليهودي . ومما يجب تذكره ان صموئيل بدأ عمله هذا قبل عامين من موافقة عصبة الأمم على صك الانتداب البريطاني على فلسطين .

التعاون البريطاني الصهيوني

وكان اول ما صنع هربرت صموئيل (Herbert Samuel) تعيين أحد غلاة الصهيونيين واسمه نورمان بنتويش (Norman Bentwich) نائباً عاماً يتولى وضع القوانين والأنظمة التي تسير البلاد ، كما عين يهوديين في منصبي المدير العام للهجرة والسفر ، والتجارة ، ثم اضاف اليهما ثالثاً هو مدير المساحة . وحرص على « أن يكون كبار المسؤولين في الحكومة المركزية والادارات المحلية ادوات لتنفيذ السياسة الصهيونية ». وأعلن اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية الى جانب العربية والانجليزية . وقد ترك للجنة الصهيونية التنفيذية ـ الوكالة اليهودية (Jewish Agencies) ان تستقل بادارة معارف اليهود ومدارسهم . في حين جعلت إدارة المعارف العربية بيد الانجليز . وكتب على النقود والطوابع بالعبرية « أرض اسرائيل » بجانب كلمة فلسطين بالعربية والانجليزية . وبدأت عمليات انتقال الاراضي الى أيدي اليهود وخصوصاً اراضي الدولة .

فأقطعت حكومة الانتداب اليهود مساحات شاسعة من أراضي الدولة ، وأقفلت المصرف الزراعي الذي كان في العهد العثماني يقرض المزارعين العرب ما يحتاجون اليه في الزراعة ، وحجزت أراضي الفلاحين ومواشيهم في

سبيل تسديد القروض . كما أنها أخذت ترهق المواطنين بزيادة الضرائب حتى يضطرون الى بيع أراضيهم لدفعها او لتأمين معيشتهم .

وفتحت ابواب الهجرة اليهودية على مصراعيها ، ومنحت سنة ١٩٢١ امتياز توليد الكهرباء لمدة سبعين عاماً لليهود الروسي روتنبرغ ، ويشمل ذلك الاستفادة من نهر الاردن وحوضه وروافده ، ونهر اليرموك وتوابعه ، ومياه بحيرة طبريا ، واستثمار نهر العوجا . ويقضي الامتياز بألا يسمح لغيره بتنوير أي بلد في فلسطين ، أو باستعمال محركات كهربائية للمعامل والمصانع والمؤسسات إلا باذن منه . ورفضت عروض شركات عربية لتنوير المدن العربية او اقتناء محركات كهربائية خاصة للمعامل او البيوت . ولكن امتياز تنوير مدينة القدس كان ممنوحاً من الدولة العثمانية سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م لأحد اليونانيين فحاولت السلطة نزع الامتياز منه والحاقه بمشروع روتنبرغ . غير ان الحكومة اليونانية أقامت دعوى في محكمة العدل الدولية في لاهاي ، فقضت هذه ببقاء الامتياز القديم لصاحبه . وراحت الحكومة المنتدبة تسن القوانين لحماية الصناعة اليهودية واعفاء ما تستورده من مواد وآلات من الرسوم الجمركية ، كما خفضت الرسوم عما تستورده البلاد من بضائع ينتجها العرب محلياً ، وذلك لضرب الصناعة العربية .

واسترسلت السلطة في سياستها التهويدية فسهلت لليهود شراء أكثر من مائتي ألف دونم في مرج ابن عامر من غير فلسطينيين ، مما ادى الى اجلاء نحو تسعمائة عائلة من المزارعين المستأجرين عنها ، والى جانب الاستيلاء على مساحة اخرى في وادي الحوارث . وفتحت ابواب الهجرة لليهود مع تجنيس من يشاء منهم بالجنسية الفلسطينية بالاضافة الى تسهيل امتلاكهم مساحة كبيرة من اراضي الدولة . كما سمحت بريطانيا بانشاء نواة لجيش الدفاع الاسرائيلي عن طريق جيش الهاغاناه في اوائل الانتداب وتيسير سبل استيراد السلاح لهم والتدريب على الاسلحة في مستعمراتهم كما سمحت لهم سلطات الانتداب برفع العلم الصهيوني على مستعمراتهم .

ومما يجدر ذكره ان حكومة الانتداب منحت امتياز استخراج املاح البحر الميت ومعادنه ، لمدة (٧٥) عاماً لليهوديين الوكيلين عن شركة البوتاس الفلسطينية المؤلفة في لندن . والبحر الاحمر منبع ثروات هائلة من املاح البوتاس والبروميد والمنغنيز والفوسفات والملح . ويقضي الامتياز بتوفير اراضي واسعة للشركة على حدود البحر الميت ، فأجرتها الحكومة آلاف الدونمات من أملاك الدولة . فبهذا الامتياز وامتياز روتنبرغ تكون السلطات قد سلمت لليهود القوة الكهربائية وموارد الصناعة الكيماوية في البلد .

المؤسسات الصهيونية :

من جهة ثانية ، فسح للمؤسسات الصهيونية التي كانت قد شكلتها المنظمة الصهيونية العالمية ، المجال للعمل بحرية كاملة في فلسطين ، كما تشكلت مؤسسات جديدة . وكان من أهم المؤسسات الجديدة :

١ ـ الصندوق التأسيسي لفلسطين (كيرين هايسود) تأسس في لندن سنة ١٩٢٠ وأصبح بمثابة الذراع المالية للمنظمة الصهيونية العالمية . توجه الى جمع التبرعات من اليهود في جميع انحاء العالم لتمويل الهجرة اليهودية وعمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين . وتأسس كذلك الصندوق اليهودي (كيرن كايمت) لتنفيذ مخطط شراء الاراضي وقد انشأه هرتزل عام ١٩٠١ م .

٢ ـ الاتحاد العام للعمال في اسرائيل (الهستدروت) تأسس في فلسطين سنة ١٩٢٠ على يد جماعات من يهود اوروبا الشرقية الذين نادوا بحصر العمل في المستعمرات والمصانع بالعمال اليهود وحدهم ، واستبعاد اليد العاملة العربية . وقد نما هذا الاتحاد نمواً كبيراً إبان الانتداب ، وبعد قيام اسرائيل ، بحيث اصبح يضم جميع النقابات المهنية اليهودية . كما أخذ يمارس نشاطاً اقتصادياً واسعاً عبر عدد من الشركات والمشاريع التابعة له والتي يرتبط بعضها برأس المال الاجنبي خارج فلسطين . ونتيجة هذا الوضع ، أصبح هذا الاتحاد يمارس دور العامل ورب العمل في آن واحد .

٣ ـ المجلس القومي : تأسس سنة ١٩٢٠ لرعاية شؤون اليهود في فلسطين . وقد اصبح الممثل الرسمي ليهود فلسطين ، ومرجع الادارة السياسية بالنسبة اليهم في البلاد .

كذلك كانت الجمعية الصهيونية ـ والتي حلت محلها الوكالة اليهودية عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م تتولى إدارة شؤون اليهود ، وكان لها حق النصح والارشاد فيما يتعلق بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وكان يتوجب على حكومة الانتداب الأخذ برأيها . وقد وضعت المنظمة الصهيونية العاملة تحت تصرف هذه المؤسسات المختلفة الملايين من الجنيهات الاسترلينية لاستملاك الاراضي وبناء المستعمرات مع استبعاد اليد العاملة العربية . وصارت حكومة الانتداب بقوانينها وأنظمتها وضرائبها وقواها الامنية أداة لتسهيل الأهداف الصهيونية .

ومما يجدر ذكره ان الهجرة اليهودية إلى فلسطين قد زادت عدد اليهود من ٥٦ ألفاً عام ١٩١٨ الى حوالى (٦٥٠,٠٠٠) يهودي في عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م بحيث بلغت نسبة اليهود في السكان الثلث بعد ان كانت ٨٪ ، كما ارتفعت نسبة تملكهم الارض من نصف في المائة الى ٧٪ في نهاية فترة الانتداب البريطاني . وأنشأوا الوكالة اليهودية التي أنيط بها التنظيم الاداري لليهود وهي شبه حكومية ، فكانت بمثابة حكومة داخل حكومة ، وسمحت بريطانيا للوكالة اليهودية بتأليف هيئات ومنظمات ارهابية عسكرية كالهاغاناه والأرغون وشيتيرن وغيرها . ونجحت في انشاء الجامعة العبرية في عهد هربرت صموئيل سنة ١٩٢٥ م .

الفصل الرابع

جهاد شعب فلسطين ضد الصهيونية والاستعمار البريطانـــي

ان الاسلام دين التسامح والرحمة ، عامل اليهود والنصارى كمواطنين في العالم الاسلامي « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » . وأعطى الاسلام أهل الكتاب حرية العمل والعبادة فكانوا في حياتهم الاجتماعية مضرب المثل لاخوانهم في الدول الاخرى غير الاسلامية حيث كانت الطوائف تعاني من الاضطهاد والظلم .

وقد كان المسلمون في فلسطين يعاملون اليهود أحسن معاملة تنفيذاً لتعاليم الاسلام ، ولكن عندما بدأ اليهود يعتنقون الصهيونية العدوانية ، وأخذوا يهاجرون الى فلسطين ويستولون على أراضي الشعب الفلسطيني لاخراجه من أرضه ، أخذ الفلسطينيون يقاومون اليهود الصهاينة لأنهم معتدون .

وقد بدأت المقاومة الفلسطينية في عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م ، عندما أقام اليهود مستعمرة (ملبس) وطردوا الفلاحين العرب من أراضيهم وقراهم فقام الفلاحون الفلسطينيون بالهجوم على تلك المستعمرة والمستعمرات الأخرى المجاورة .

وقد قام الفلسطينيون بمساعدة اخوانهم المسلمين باستصدار تشريعات من الحكومة العثمانية لمنع هجرة اليهود ، ومنع بيع الاراضي لهم . ولكن بعض المواطنين الاتراك كانـوا يتهاونـون في تطبيق القـوانين ويتعـاونون مـع اليهود وقناصل الدول الاجنبية لبيع بعض الاراضي والسماح لبعض المهاجرين اليهود بالاستيطان في فلسطين .

وكان عرب فلسطين يقومون بحملة احتجاج ضد كل محاولة تقضي بيع اراضيهم الى اليهود أو ادخال اليهود الاجانب الى بلادهم ، وقام الفلسطينيون منذ مطلع هذا القرن بمظاهرات ، وقدموا عرائض الاحتجاجات ، وشكلوا الجمعيات لمحاربة الصهيونية ومنع الهجرة اليهودية الى بلادهم وبيع الاراضي الفلسطينية الى اليهود .

وقد عبر الفلسطينيون في صحفهم الكثيرة التي كانت تنشر بـاستمرار عن استنكـارهـم لبيع الاراضي وهجـرة اليهود ، وكانت الصحف الفلسطينية تدعو العرب والمسلمين ، الى محاربة الصهيونية التي كانوا يرون فيها خطراً يهدد بلادهم فلسطين من جهة ، ويهدد العالم العربي من جهة ثانية .

وبعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد صدور وعد بلفور البريطاني الذي دعا الى تـأسيس وطن قومي لليهـود في

طلائع من قوات
الثورة الفلسطينية

فلسطين ، دخلت القضية الفلسطينية مرحلة خطيرة ، وأصبحت بريطانيا والدول الاستعمارية تعمل رسمياً لاقامة دولة يهودية في فلسطين .

وقد واجه شعب فلسطين هذه المؤامرة الدولية بكل انواع المقاومة ، فعقد المؤتمرات التي رفض فيها وعد بلفور كما رفض الهجرة اليهودية ، وانتخب قيادة تقود العمل الوطني من اجل مقاومة الصهيونية والانتداب البريطاني .

وقد شكل الشعب الفلسطيني اولى جمعياته الفدائية عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م التي بدأت بعد الثورة المسلحة التي انطلقت عام ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م ضد اليهود والانكليز في القدس .

وفي عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١ م قامت في يافا ثورة أخرى كانت أشد من ثورة القدس وأوسع نطاقاً قتل وجرح فيها كثير من اليهود والانجليز . كما قامت ثورة كبيرة عـام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م سميت ثورة البـراق لأن المسلمين قاموا فيها يدافعون عن مقدساتهم في المسجد الاقصى عندما حاول اليهود الاستيلاء على حائط البراق الذي يعتبر جزءاً من سور المسجد الاقصى .

وكان المسلمون في جميع انحاء العالم يؤيدون الشعب الفلسطيني في جهاده ضد الصهيونية والاستعمار ، وقـام بعض المسلمين في البلاد الاسلامية بمظاهرات تأييد لجهاد شعب فلسطين ، وكانوا يعلنون تضامنهم في كل مناسبة مع الشعب الفلسطيني .

وقد تجلى موقف المسلمين المؤيد للشعب الفلسطيني في أول مؤتمر اسلامي عقد في القدس ليلة الاسراء والمعراج وحضره زعماء الدول الاسلامية الذين اتخذوا عدة قرارات يعربون فيها عن تأييدهم للشعب الفلسطيني ، في جهاده ضد الصهيونيين من اجل المحافظة على أرضه ومقدساته .

وظل الشعب الفلسطيني يواصل مقاومته لاعدائه بكل الوسائل الى ان تبين له ان الثورة المسلحة المنظمة هي الوسيلة الوحيدة لتحرير بلاده من الصهاينة ومن الانجليز الذين هم اصل البلاء .

دعم حكومة بريطانيا لليهود :

ظلت حكومة الانتداب البريطاني تسير في مخططاتها في دعم الحركة الصهيونية ومحاربة الشعب الفلسطيني ، غير ملتفتة الى مطالبه العادلة في المحافظة على أرضه ، وحقه في وطنه

فمنذ عام ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م حينما اصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور وهي تقوم باجراءاتها لتهويد فلسطين ، وقد عينت عام ١٩٢٠ م هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني اول مندوب سامي بريطاني على فلسطين لتنفيذ مخططاتها في اقامة الوطن القومي اليهودي على حساب أهل فلسطين الاصليين .

وقامت الحكومة البريطانية بفتح ابواب الهجرة اليهودية على مصراعيها وأحضرت عشرات الآلاف من اليهود الى فلسطين ، كما قامت بتسليمهم عشرات الآلاف من الدونمات لاقامة المستعمرات اليهودية على الاراضي الفلسطينية وأقامت لهم فوقها المستعمرات لتكون قواعد عسكرية لهم ، لمحاربة الفلسطينيين واخراجهم من ارضهم .

كما بدأت الحكومة البريطانية بانشاء جيش لليهود وكذلك أخذت تعمل على تطوير الوكالة اليهودية لتكون حكومة اليهود في المستقبل .

وهكذا اصبحت الحكومة البريطانية بصورة واضحة هي العدو الرئيسي للشعب الفلسطيني بالاضافة الى الصهاينة .

وقد أدى هذا الموقف البريطاني تجاه الشعب الفلسطيني إلى قيام المقاومة الفلسطينية ضد الحكومة البريطانية . وقامت القيادة الفلسطينية بتوجيه الحركة الوطنية نحو مقاومة الإنجليز أولاً باعتبارهم أصل الداء بعد ان كانت تركز جهودها سابقاً ضد النشاط الصهيوني .

وقد عقدت في مدن فلسطين الاجتماعات المختلفة ، وأخذ الشعب الفلسطيني ينادي بمقاطعة الحكومة البريطانية ، وتحدى قوانينها ، ومحاربتها بالقوة حتى ترجع عن سياستها المؤيدة للصهيونية .

وقد حدثت نتيجة لذلك اصطدامات دامية بين الشعب الفلسطيني والحكومة البريطانية سقط خلالها عدد كبير من الشهداء والجرحى الفلسطينيين كان منهم الشيخ موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية الذي جرح أثناء قيادته للمظاهرات ضد بريطانيا ولم يلبث بعد مدة قصيرة من الزمن أن مات متأثراً بجراحه .

ثورة الشيخ عز الدين القسام :

في ظل الأجواء التي كانت تسود فلسطين قام الشيخ عز الدين القسام بحركته هذه التي تميزت باعتمادها على التنظيم السري الذي يضم الرجال المؤمنين . وقد أخذ الشيخ القسام بالتجوال بين المساجد لوعظ المسلمين وإرشادهم إلى تعاليم دينهم الاسلامي ، ومن خلال نشاطه الاسلامي ، كان ينظم الشباب في خلايا سرية ويعدهم دينياً ووطنياً لقتال الانجليز .

الشهيد الشيخ
عز الدين القسام
قائد ثورة ١٩٣٥ م

وقد كانت سياسة الشيخ القسام تنطلق من القرآن والسنة وكان يقتدي برسول الله ﷺ في عمله وتنظيمه ، فطبق الشكل التنظيمي نفسه الذي طبقه الرسول عندما كانت دعوته سرية قبل ان يهاجر من مكة الى المدينة .

وقد اخذ الشيخ القسام يواصل العمل ليل نهار لتأسيس جمعية سرية تهيىء الرجال للثورة وتجمع السلاح ليوم المعركة .

وقد كان الشيخ محدثاً لبقاً وخطيباً بارعاً استطاع ان يؤثر في الناس بحجته وعلمه ودعا الناس الى الجهاد لمحاربة الانكليز وتحرير فلسطين منهم ومن الصهاينة .

وقد التف الناس حول الشيخ القسام ووثقوا به وآمنوا بدعوته ، مما ساعده على انتقاء الشباب وتنظيمهم في الجمعية السرية الثورية حيث كان يعدهم للمعركة ويجهز لهم السلاح لقتال الانجليز .

وقد كان الشرط الأول للالتحاق بهذه الجمعية هو الايمان بالله وحفظ آيات ا لقرآن التي تحث على الجهاد في سبيل الله . كذلك الاحاديث النبوية الشريفة ، التي تهيىء الرجال للتضحية في سبيل الله .

وكان الاعضاء يدرسون الحروب الاسلامية التي قادها الرسول ﷺ وكذلك الصحابة والقادة المسلمون أمثال خالد بن الوليد وعمر بن العاص ومحمد القاسم وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وصلاح الدين الايوبي .

وقد التحق بحركة الشيخ القسام قطاعات واسعة من ابناء الشعب الفلسطيني بخاصة من العمال والفلاحين وكان الالتحاق يتم بعد فترة تجربة لكل عضو ومدى ما يقوم به من نشاط ضد الانجليز والصهاينة .

أهداف الثورة :

وكانت وجهة نظر الشيخ القسام السياسية تقوم على المبادىء التالية :

١ ـ بريطانيا أصل الداء وسبب البلاء وهي عدوة العرب والاسلام الاولى ومسؤولية الجمعية السرية الأولى هي الجهاد لطرد الاستعمار البريطاني من فلسطين ،

٢ ـ الحركة الصهيونية هي وليدة الاستعمار البريطاني وبريطانيا هي الرأس والصهيونية هي الذنب فإذا قطع الرأس مات الذنب ،

٣ ـ الثورة الشعبية المنظمة هي الوسيلة الوحيدة لمنع اقامة دولة يهودية على أي شبر من أرض فلسطين ،

٤ ـ تعبئة الشعب الفلسطيني روحياً بواسطة خطباء المساجد والشعراء والأدباء ،

٥ ـ تدريب مئات الطلائعيين على السلاح قبل بدء الثورة ،

٦ ـ شراء أسلحة تمول من اشتراكات الأعضاء وتبرعاتهم ودفع اعانـات إلى أسر الشهداء والمسجـونين والمعتقلين في سجون حكومة الانتداب .

أما هدف الثورة التي كان يعد لها الشيخ القسام فهو تحرير فلسطين وإقامة دولة عربية مؤقتة تعمل على تحقيق الوحدة العربية .

وبعد ان هيأ الشيخ القسام عدداً كبيراً من الشباب الذين تربوا على حب الجهاد والتضحية قاموا بقتال الانجليز وشاركوا في عدد كبير من العمليات العسكرية ضد بريطانيا ، ولكن الشيخ لم يسمح ببدء حرب شاملة ضد بريطانيا قبل الاعداد الكامل للثورة .

اندلاع الثورة :

وبمناسبة الذكرى السادسة عشرة لصدور وعد بلفور تحرك بعض الشباب من تنظيم القسام وهاجموا مركز حراسة مستعمرة يهودية في مرج بن عامر وقتلوا عدداً من اليهود وانكشف امرهم بطريق الصـدفة فـأعدم الانجليـز أحدهم وسجنوا الآخرين ، وكانت هذه الاجراءات البريطانية سبباً من أسباب دفع الجماهير الفلسطينية نحو الثورة الشعبية ضد بريطانيا والصهيونية .

وأثناء اعداد الشيخ القسام لخطة عمل مسلح تقضي باحتلال حيفا أهم ميناء في فلسـطين ، وأكبر قلعـة من القلاع التي تحتشد فيها القوات البريطانية ، أطلق احد رجـال القسام المتحمسـين النار عـلى ضابط يهـودي فقتله . واستنفرت القوات البريطانية وطوقت رجال القسام في جبل من جبال جنين وبعد معارك عنيفة استمـرت عدة أيـام سقط الشيخ القسام شهيداً هو وعدد من رفاقه ، وجرح وأسر عدد آخر ، وانسحب الباقون ، وقد توقفت الثورة بعد استشهاد الشيخ القسام عدة أشهر ريثما نظم رجاله أنفسهم من جديد ، وشاركوا مع جماهير الشعب الفلسـطيني في ثورته التاريخية التي انطلقت عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م .

الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م :

تعتبر ثورة عام ١٩٣٦ م من أعظم الثورات في تاريخ الشعب الفلسطيني قبل قيام الكيان الاسرائيلي اذ امتدت اكـثر من ثلاث سنـوات سطر فيهـا الشعب الفلسطيني أروع آيـات التضحية والبـطولة والفـداء في التاريـخ العربي الاسلامي الحديث .

وكان لثورة الشهيد القسام واستشهاده الأثر الأكبر في انطلاقة هذه الثورة ، أضف إلى ذلك استمرار بريطانيا في ممارسة سياستها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني ، وذلك باستقبال مزيد من المهاجرين اليهود وتسليمهم مزيداً من اراضي الشعب الفلسطيني .

فقد اصبح اليهود يملكون عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م اكثر من (١,٣٢٢,٠٠٠) دونماً من الاراضي الفلسطينية بينما كان كل ما يملكونه من الاراضي عند دخول بـريطانيـا الى فلسطين عـام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨ م (١٦٢.٠٠٠)

البطل الشهيد
عبد القادر الحسيني
قائد الجهاد المقدس في
منطقة القدس ١٩٤٨ م .

دوناً . كما وأصبح عدد اليهود في فلسطين عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م (٣٩٥ ألفاً) بينما كان عددهم عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨ (٥٦,٠٠٠) نسمة .

هذا بالاضافة الى قيام السلطات البريطانية بتسليح اليهود وتدريبهم في الوقت الذي كانت فيه تلك السلطات تمنع الفلسطينيين من اقتناء السلاح وتحاكم كل من تجد معه حتى طلقة فارغة .

وقد دفعت السلطات البريطانية اليهود الى ارتكاب كثير من الاعمال الاجرامية ضد العرب . كانوا يقتلون الآمنين من المواطنين العرب المدنية من النساء والرجال العزل من السلاح .

كل هذه الاسباب بالاضافة الى أسباب اخرى جعلت كل الشعب الفلسطيني ينتظر النداء للثورة التي انطلقت في ١٥ ابريل عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م عندما قامت مجموعة من رجال القسام بالهجوم المسلح على سيارات اليهود وتبعهم اهل يافا فقاموا بالهجوم على اليهود في شوارع المدينة فقتلوا وجرحوا (٦٠) يهودياً في وقت قصير جداً ، مما اضطر اليهود الى الهرب وطلبوا من القوات البريطانية حمايتهم فهب الانجليز يدافعون عنهم ، وأعلنت نظام منع التجول في مدينة يافا .

ثم قامت باقي المدن الفلسطينية بالثورة ضد الانكليز واليهود وتشكلت اللجان القومية من القيادات المخلصة من أبناء الشعب الفلسطيني وبعد عدة أيام أصبحت تلك اللجان القومية تقود الثورة في جميع انحاء فلسطين .

وقد دعت اللجان القومية الى الثورة والاضراب فلبى الشعب الفلسطيني وهب في ثورته ضد الانجليز ، كما قام باضراب لم يشهد له التاريخ مثيلاً حتى وقتنا الحاضر اذ استمر هـذا الاضراب (١٧٥) يـوماً متـواصلة وشمل جميـع نواحي الحياة .

وقد وقف الشعب الفلسطيني كله صفاً واحداً خلف قيادته واستمـر بثورتـه ضد الانجليـز يخوض المعـارك في السهول والجبال والقرى والمدن في جميع انحاء فلسطين وبدأت تظهر بصورة علنية لأول مرة في فلسطين قوات الثوار المسلحة التي كانت تحتل كثيراً من المقاطعات والمدن والقرى الفلسطينية .

وقام الثوار بعدد من العمليات العسكرية ادت إلى تخريب عدد كبير من الطرق وأسلاك التلفونـات والسكك الحديدية وأنابيب النفط كما ونسفوا الجسور وغير ذلـك مما تعيق تنقـل القوات البـريطانيـة وتؤثر عـلى سير الحيـاة في المستعمرات الصهيونية .

وأعلنت الثورة الفلسطينية العصيان المدني ضد بريطانيا ، وامتنع الناس عن دفع الضرائب ، وتنفيذ القوانين وساءت الاحوال الاقتصادية في البلاد وبدأت الشركات الصهيونية تعلن افلاسها وحرم اليهود من المواد الغذائيـة ، وكادت تتلاشى آمالهم لاقامة الوطن اليهودي في فلسطين .

وقد استعد الشعب الفلسطيني وهيأ نفسه لثورة طويلة ضد الانكليز فالتقى جميع رؤساء الاحزاب الفلسطينية وشكلوا فيما بينهم قيادة عليا لقيادة اللجان القومية المنتشرة في القرى والمدن ، وقد سميت هذه القيادة الجديدة (اللجنة العربية العليا) برئاسة مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني .

أهداف الثورة وعملياتها :

حددت هذه القيادة أهداف الثورة الفلسطينية بما يلي :

١ ـ انشاء حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي .
٢ ـ منع الهجرة اليهودية الى فلسطين ،
٣ ـ منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود .

وقد أدى تنظيم الشعب الفلسطيني والتفافه حول قيادته الى توسيع الثـورة ونموهـا بحيث استطاعت أن تقـوم بمعارك ضارية ضد القوات البريطانية وتكبيدها خسائر فادحة في الارواح والمعدات وقد استطاع الثوار ان يخوضوا اكثر من (٢٥) معركة كبيرة كانت تشارك فيها بريطانيا وبقوات ضخمة من الجيش المسلح بالدبابات والطائرات كما خاض الثوار اكثر من (٢٣٦) معركة أخرى اوقعت فيها عدداً كبيراً من الاصابات بالجيش البريطاني .

قدرت خسائر القوات البريطانية في هذه المعارك بأكـثر من عشرة آلاف قتيـل أضف الى ذلك عـدداً كبيراً من الجرحى .

ونتيجة لتصاعد الثورة بدأت بريطانيا ترسل مزيداً من القوات البريطانية الى فلسطين لمواجهة الثوار الفلسطينيين حتى بلغت قواتها اكثر من (٨٠) ألف جندي مدعمين بأحدث الدبابات والطائرات الحربية .

وقد اعترف الضباط الانجليز بقوة الثورة وشجاعة الثوار الفلسطينيـين وقوة بـأسهم حتى أنهم كانـوا يرسلون

ثلاثين جندياً بريطانياً مقابل كل ثائر فلسطيني ، ولم يتوقف الشعب الفلسطيني في ثورته بالرغم من قلة الإمدادات التي كانت تصله وبالرغم من ضخامة الإمداد التي كانت تصل القوات البريطانية . وقد سقط في هذه الثورة أكثر من (١٢) ألف شهيد من الشعب الفلسطيني اكثرهم كان من المدنيين العزل من السلاح من الرجال والنساء قتلتهم القوات البريطانية في بيوتهم ومساجدهم ومزارعهم ، بينما كانت تجبن عن مواجهة الثوار المسلمين المعتصمين بالجبال .

مساندة العرب والمسلمين للثورة :

وقد قام الشعب العربي بمظاهرات واضرابات ضد السلطات البريطانية في مصر للمطالبة بحقوقهم الوطنية ، وكذلك قام الشعب العربي في سوريا ضد سلطات الانتداب الفرنسية .

وقد هب كثير من الشباب في مصر وسوريا وشرقي الاردن وغيرها من البلاد العربية بالتطوع في صفوف الثورة الفلسطينية واستشهد عدد منهم دفاعاً عن فلسطين وجرت مظاهرات صاخبة في عمان في ١٩٣٦/٤/٢٣ م / ١٣٥٤ هـ ، تأييداً للشعب الفلسطيني في ثورته ، وكذلك اضربت المدن السورية في ١٩٣٦/٤/٢٤ م / ١٣٥٤ هـ . وأضرب في ١٩٣٦/٤/٢٥ م / ١٣٥٤ هـ سكان مدينة طرابلس الشام وصيدا في لبنان احتجاجاً على سياسة الانجليز ضد الشعب الفلسطيني وكذلك معظم المدن العربية وخاصة دمشق وحلب وحمص وحماة ، وسائر مدن شرقي الاردن وكذلك أضربت بغداد والموصل في العراق وقام الطلاب في مصر بمظاهرات صاخبة ضد الانجليز .

وقد نشطت في العديد من البلاد العربية مثل الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر لجان لتأييد الشعب الفلسطيني وإرسال المجاهدين الى ساحات القتال وجمع التبرعات وتقديم الاحتجاجات واعلان الاضرابات وغير ذلك من وسائل التأييد .

كما قام المسلمون في عدة بلاد من العالم الاسلامي بتأييد جهاد الشعب الفلسطيني واستقبلت وفودهم أحر استقبال وأعلنت عن تأييدها المطلق لأخوانهم المسلمين في فلسطين في جهادهم ضد الانكليز والصهاينة . وكان الكثير من المسلمين يقدمون التبرعات للشعب الفلسطيني بالرغم من الظروف التي كانوا يعيشون فيها اذ كان اكثر الدول الاسلامية يقع تحت سيطرة الاستعمار البريطاني او الفرنسي .

هدوء الثورة :

وكما وجدت بريطانيا نفسها أمام ثورة لا تستطيع القضاء عليها ، وتحظى بتأييد العرب والمسلمين ، خافت على نفوذها من الانهيار ، كما خافت على المشروع الصهيوني من الفشل . لذلك لجأت الى الملوك والرؤساء العرب لمساعدتها في التوسط لدى الشعب الفلسطيني لوقف الثورة .

وقد وجه الملوك والرؤساء العرب نداء الى الشعب الفلسطيني دعوا فيه عرب فلسطين الاخلاد الى السكينة معتمدين على حسن نوايا صديقتهم الحكومة البريطانية لتحقيق العدل ، وأكد الملوك والرؤساء بأنهم سيواصلون السعي لمساعدة الشعب الفلسطيني للحصول على حقوقه الوطنية .

وقد اذاعت اللجنة العربية العليا بياناً اعلنت فيه موافقتها على بيان الملوك والرؤساء العرب ودعت الشعب

العربي الفلسطيني إلى إنهاء الاضراب الذي استمر ستة أشهر .

ولبى الشعب النداء فأوقف الاضراب ، وأوقف جميع أعمال الجهاد والثورة وعاد الناس إلى اعمالهم بانتظار ما ستسفر عنه وعود بريطانيا للملوك والرؤساء .

وأرسلت بريطانيا لجنة ملكية إلى فلسطين لتدرس مطالب العرب ، وكعادتها لم يكن هدفها تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني المعروفة . وانما هدفها كسب الوقت لانهاء الثورة والاستمرار في تنفيذ مخططاتها في اقامة الوطن القومي اليهودي .

وقد أصدرت اللجنة البريطانية الملكية في يوليو ـ تموز ١٩٣٧ م / ١٣٥٥ هـ بيانها الذي اعترفت فيه بأن أسباب الثورة هي مطالبة الفلسطينيين بحقوقهم ورغبتهم في الاستقلال القومي ورفضهم لانشاء الوطن القومي اليهودي . إلا أن اللجنة الملكيه اوصت بتقسيم فلسطين ثلاثة مناطق ، منطقة تقام فيها دولة يهودية ، ومنطقة عربية تضم الى شرق الاردن ، ومنطقة تضم الاماكن المقدسة تبقى تحت الانتداب البريطاني ، وأعلنت الحكومة البريطانية قبولها مشروع التقسيم وعزمها على تنفيذه .

استئناف الثورة :

رفض الشعب الفلسطيني تقسيم بلاده ، وقامت القيادة الفلسطينية بابلاغ الملوك والرؤساء رفضها لقرار التقسيم ووقف العرب والمسلمون وراء الشعب الفلسطيني في موقفه هذا .

وقامت بريطانيا بعزل مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني من منصبه ، كرئيس للمجلس الاسلامي الأعلى ، وعينت مكانه ضابطاً بريطانياً . كما حاصرت القوات البريطانية المسجد الاقصى وحاولت اعتقال المفتي الذي استطاع الافلات من الحصار والسفر سراً الى لبنان .

وقد عاد الشعب الفلسطيني الى الثورة بعد ان نكثت بريطانيا بوعودها كعادتها ، ولم تحترم تعهدها للملوك والرؤساء العرب . كما سبق ان نكثت عهودها المتكررة للشعب الفلسطيني .

وقد قام الثوار في بداية أعمالهم العسكرية باغتيال المستر اندروز احد كبار موظفي الحكومة البريطانية وحاكم المنطقة الشمالية في فلسطين .

وعاد الشعب الفلسطيني الى حمل السلاح بقيادة المجاهد عبد القادر الحسيني بعد تشريد القيادة الفلسطينية واندلعت الثورة في كل مكان من فلسطين وقامت معارك حربية على أوسع نطاق . واكره الثوار بريطانيا لاعادة النظر في قرارها الخاص بالتقسيم وأعلنت الحكومة البريطانية عن عدولها عن قرار التقسيم في ١٩٣٨/١١/٩ م / ١٣٥٦ هـ ، ودعت الى عقد مؤتمر في لندن لبحث القضية الفلسطينية وعقد المؤتمر في اوائل عام ١٩٣٩ م ولكن انفرط عقده بسبب تدخل الولايات المتحدة الامريكية لصالح اليهود .

ونتيجة لثورة الشعب الفلسطيني وصموده ، اضطرت بريطانيا الى اصدار الكتاب الابيض في ١٩٣٩/٥/١٧ م / ١٣٥٧ هـ وافقت فيه على تشكيل حكومة فلسطين مستقلة وتشكيل مجلس تشريعي اذا سمحت

الظروف بذلك . والسماح لخمسة وسبعين الف يهودي بالهجرة الى فلسطين .

ولعدم ثقة العرب بوعود الحكومة البريطانية استمروا في ثورتهم حتى سبتمبر ١٩٣٩ م / ١٣٥٧ هـ عندما نشبت الحرب العالمية الثانية ، عندها رأى العرب ان يهادنوا بريطانيا على أمل الحصول على حقوقهم بعد انتهاء الحرب وهكذا اوقفت الثورة الفلسطينية التي استمرت ثلاثة أعوام وخمسة اشهر .

الفصل الخامس

الحرب العالمية الثانية ونتائجها على القضية الفلسطينيـــة

عندما دخلت بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا وحاولت أن تظهر رغبتها باعطاء الفلسطينيين حقوقهم ، ومنع انتقال الاراضي لليهود ، ومنع الهجرة اليهودية .

ولكن بريطانيا لن تتخلى عن سياستها الخادعة للعرب ، وظلت تمارس حكم فلسطين مباشرة ولم تشكل حكومة فلسطينية ، كما لم تسمح للزعماء الفلسطينيين المنفيين بالعودة الى فلسطين ، واستمرت في مصادرة سلاح الفلسطينيين وتقديم من تجد عنده أي قطعة سلاح الى المحاكمة . بينما كانت تسلح وتدرب اليهود .

وقد اعتقلت بريطانيا أكثر من ألف شاب بتهمة الاشتراك في اعمال الثورة وحمل السلاح وحكمت بالإعدام على اكثر من (١٧٠) وبالسجن المؤبد على عدد آخر وحكمت على المئات بالسجن لما بعد انتهاء الحرب .

كما زادت بريطانيا الضرائب والغرامات المالية على المدن والقرى وفرضت حظر التجول في مناسبات مختلفة بحجة التفتيش عن السلاح ، ومارست أشد أنواع البطش والتعذيب والارهاب وضربت الشيوخ والنساء والأطفال ، ونهبت الأموال ، وأتلفت المؤن وأحرقت المزروعات ، ونسفت عدداً كبيراً من البيوت وبلغ بها الظلم ان حكمت على ثلاثة شبان بالاعدام لمجرد العثور على طلقات نارية في حيازتهم ونفذت حكم الاعدام فيهم .

ونظراً لسوء الأحوال الاقتصادية لم يستطع الفلسطينيون العودة الى الثورة ، اذ كان زعماؤهم قد نفوا خارج فلسطين وكانت بريطانيا قد نسفت وأحرقت ودمرت بيوت ومتاجر الكثيرين منهم ، وفرضت على القرى والمدن من الضرائب فوق طاقاتها .

وكان الشعب الفلسطيني قد انهكته سنوات القتال الطويلة التي خاضها ضد أكبر دولة استعمارية في العالم في ذلك الحين ، والتي قدم خلالها آلاف الشهداء والجرحى واعتقل من رجاله اكثر من (٤٠) ألف رجل . كل هذا حصل والشعب الفلسطيني يخلد الى السكينة لالتقاط الانفاس وليكون قادراً على مواصلة الثورة .

مؤتمر بلتيمور عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٢ م :

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية حدث تطور مهم في علاقات الحركة الصهيونية مع الولايات المتحدة

الامريكية . ففي عام ١٩٤٢ م عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها في فندق بلتيمور في نيويورك ، وطالبت علناً وبصراحة باقامة دولة يهودية في فلسطين وانشاء جيش يهودي ، وفتح باب الهجرة الى فلسطين بدون قيود .

وقد تنافس الحزبان الاميركيان : الديمقراطي والجمهوري على تأييد مطالب الحركة الصهيونية ، وبذلك يمكن القول ان الحركة الصهيونية منذ هذا التاريخ اصبحت مرتبطة بصورة علنية بالولايات المتحدة الاميركية . التي اصبحت تضغط على بريطانيا لتحقيق مطالب اليهود في فلسطين .

وبعد هذا التأييد العلني من اميركا للصهيونية ، أخذت الوكالة اليهودية تدرب جيش الهاغاناه على أيدي الضباط الانجليز ، وشكلت بريطانيا فيلقاً يهودياً بضباطه وجنوده ورايته وضمته الى جيوش الحلفاء ، ليكون نواة جيش الدولة اليهودية بعد انتهاء الحرب .

وبالرغم من كل من المساعدات المالية والعسكرية والسياسية التي قدمتها بريطانيا لليهود في فلسطين قام اليهود بثورة ضد بريطانيا لاجبارها على فتح باب الهجرة والسيطرة على الارض الفلسطينية . وأخذوا يأسرون الضباط البريطانيين ويقتلون الجنود ويصلبونهم على الشجر وأعمدة الكهرباء بعد تعذيبهم وقتلهم ، وأطلقوا النار على المندوب السامي وزوجته ، ولم تكن بريطانيا تتخذ ضدهم إلا أبسط الاجراءات مثل تغريم المستعمرة التي التجأ اليها الارهابيون خمسمائة جنيه فقط ولم تحصلها ، في الوقت الذي كانت فيه تتخذ ضد العرب أقسى العقوبات من اعدام وسجن وتدمير للبيوت وحرق للمزروعات .

ولم يكتف اليهود بقتال الانجليز داخل فلسطين بل قاموا باغتيال وزير الدولة البريطاني في القاهرة اللورد موين ، معتمدين في أعمالهم الارهابية هذه على التأييد الامريكي الكامل الذي أعلنته الحكومة الامريكية ، ومستغلين في الوقت نفسه انشغال بريطانيا في حربها ضد المانيا .

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، تحسن الوضع الاقتصادي للفلسطينيين وعاد بعض زعمائهم من المنفى ، وفي عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣ م ابتدأ النشاط السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية يعود شيئاً فشيئاً ، وبدأ الفلسطينيون يؤسسون الجمعيات الدينية والسياسية ، والنوادي الاجتماعية الرياضية ، لأنهم لم يكونوا قادرين على تشكيل حركة سياسية تقود الشعب الى الثورة ، بسبب البطش البريطاني .

وقد أسس بعض الفلسطينيين صندوق « الامة » المالي ليستطيعوا مواجهة استيلاء اليهود على الاراضي الفلسطينية كما أسس البعض الآخر اتحادات ونقابات ومنظمات شبه عسكرية تحت ستار الفتوة والنجادة ، ليعدوا الشباب الى معركة قادمة ضد الانجليز والصهاينة .

وكان نشاط الفلسطينيين في هذه المرحلة مركزاً على النضال السياسي مثل ارسال البرقيات والعرائض والمؤتمرات الجماهيرية ، التي تستنكر الارهاب الصهيوني ، والتواطؤ البريطاني وتطالب بوقف الهجرة وتسليم الاراضي لليهود وتسليحهم . وكانت ترفع تلك البرقيات والاحتجاجات الى المندوب السامي البريطاني الذي لم يكن يلتفت اليها ، الى الملوك والحكام العرب الذين كانوا عاجزين عن تلبيتها .

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية زاد ضغط الولايات المتحدة الاميركية على بريطانيا من اجل ان تسمح بهجرة اليهود الى فلسطين بدون قيد او شرط ورضخت الحكومة البريطانية للضغوط الاميركية ، وأصبح الفلسطينيون

يواجهوَن بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الاميركية وهما من اكبر الدول في العالم في ذلك الوقت بالاضافة الى الحركة الصهيونية والدول الاخرى المؤيدة لها .

ولهذه الاسباب اضطر بعض الزعماء الفلسطينيين القبول بالكتاب الابيض الذي سبق ان رفضوه والذي يتضمن بعض الحقوق الفلسطينية ولكن بريطانيا التي كانت تضغط على الفلسطينيين بقبول الكتاب الابيض لم تلبث ان اعلنت عدم امكانية تنفيذه مما أدى الى شق صفوف الحركة الوطنية .

فلسطين في الجامعة العربية :

لم تستطع الحركة الوطنية الفلسطينية اثناء الحرب العالمية الثانية من اعادة توحيد صفوفها وتشكيل قيادتها المتماسكة التي كانت تقود الشعب الفلسطيني خلال ثورته الطويلة قبل الحرب ، وذلك بسبب الرفض البريطاني والظروف العربية والدولية في فترة الحرب .

وفي ٢٢ /٣/١٩٤٥ م / ١٣٦٥ هـ حدث اتفاق بين عدد من الدول العربية لتشكيل جامعة عربية ، ووافقت على هذا الاتفاق الذي سمي ميثاق جامعة الدول العربية كل من حكومات مصر والعراق وسوريا والسعودية ولبنان واليمن وشرقي الاردن . وجعل لهذا الميثاق ملحق خاص بشأن اشتراك فلسطين جاء فيه :

« نظراً الى ظروف فلسطين الخاصة ، والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » .

وهكذا انتقلت مسؤولية القضية الفلسطينية من القيادة الفلسطينية الى الجامعة العربية التي اصبحت هي المسؤولة عن اختيار ممثل فلسطين في اجتماعاتها .

وفي مؤتمر بلودان المنعقد في سوريا عام ١٩٤٦ م اعادت الجامعة العربية اللجنة العربية العليا وأطلقت عليها اسم : « الهيئة العربية العليا » .

وعلى اثر التطورات التي حدثت اثناء الحرب العالمية الثانية اتفقت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية على ارسال لجنة مشتركة لبحث الاوضاع في فلسطين سميت اللجنة « الانجلو ـ امريكية » وقد أوصت اللجنة بعد ان انهت اعمالها بادخال مائة الف يهودي حالاً أي خلال عام ١٩٤٦ م وكان تقرير متحيزاً لليهود .

وقد قابل الشعب الفلسطيني تقرير اللجنة بالاستنكار والمظاهرات ، كما قامت مظاهرات مماثلة في عدد من مدن البلاد العربية والاسلامية ، تستنكر السياسة البريطانية الامريكية في فلسطين ، وتؤيد عرب فلسطين في حقوقهم ومطالبهم الوطنية .

وقد عقد مؤتمر قمة عربي في انشاص في مصر في ٢٨/٥/١٩٤٦ م / ١٣٦٦ هـ ، أعلن فيه الزعماء العرب اجماعهم ان الصهيونية خطر دائم على فلسطين وعلى البلاد العربية والشعوب الاسلامية ، وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية ، ومنع تسليم الاراضي لليهود ، كما طالبوا باستقلال فلسطين وتشكيل حكومة فلسطينية تضمن حقوق سكانها الشرعيين ، ورفضت تقرير اللجنة الانجلو ـ امريكية ، واعتبرته موجهاً ضد البلاد العربية، وقرروا بالاجماع مساعدة الشعب العربي الفلسطيني .

وعقد مجلس جامعة الدول العربية اجتماعاً في بلودان في سوريا في ١٩٤٦/٦/٨ م / ١٣٦٦ هـ قرروا فيه ارسال مذكرتين للحكومتين البريطانية والاميركية يرفضون فيهما تقرير اللجنة الانجلو اميركية ، ويعتبرون توصياتها مرجهة ضد الحكومات العربية .

وقرر المجلس أيضاً انشاء مكاتب مقاطعة للمؤسسات الاقتصادية الصهيونية في كل دولة عربية .

وقد طالبت الدول العربية من بريطانيا المفاوضة لحل القضية الفلسطينية واستجابت الحكومة البريطانية لهذا الطلب وعينت له موعداً في لندن يوم ١٩٤٦/٩/١٠ م / ١٣٦٦ هـ وعرضت بريطانيا في هذا المؤتمر مشروعاً لتقسيم فلسطين رفضته الوفود العربية وقدموا مشروعاً بديلاً يقضي باعلان استقلال فلسطين دولة موحدة لها حكومة ديمقراطية ، ولها دستورها الخاص بها . ولم تستجب الحكومة البريطانية لمطالب العرب ففشل مؤتمر لندن .

وفي هذه الاثناء زاد ضغط الولايات المتحدة الاميركية على الحكومة البريطانية لتحقيق اهداف الصهاينة ، ومن جهة أخرى صعد الصهاينة من إرهابهم ضد الحكومة البريطانية ، واستغلت بريطانيا هذا الوضع ،فقررت عرض القضية الفلسطينية على هيئة الأمم المتحدة ، والإنسحاب من فلسطين بعد ان قامت بواجبها الكامل تجاه وضع أسس الدولة اليهودية .

ولم يأت عام ١٩٤٧ م / ١٣٦٧ هـ حتى اصبح لليهود حكومة تحت اسم (الوكالة اليهودية) وأصبح لهم جيش تحت اسم « الهاغاناه » وأصبح لديهم حوالى ٦٪ من الاراضي الفلسطينية التي سلمتها اياهم بريطانيا ، وأصبح عدد اليهود في فلسطين نتيجة الهجرة حوالى (٦٥٠) ألف يهودي .

الفصل السادس

قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م / ١٣٦٧ هـ

قررت بريطانيا ان تنسحب من فلسطين بعد ان وضعت البلاد على حافة حرب دموية بين العرب سكان البلاد الاصليين وبين اليهود الصهاينة الغرباء الذين أحضرتهم بريطانيا إلى فلسطين من أجل استيطانها وليقيموا فيهـا دولة يهودية .

وقد قامت بريطانيا بتنفيذ خطتها الاستعمارية في وضـع فلسطين في ظـروف تسمح لليهـود باقامة دولتهم ، فسلحتهم ودربتهم ، وسهلت لهم امتـلاك الاراضي وقوّت الـوكالـة اليهوديـة التي كانت تتصـرف كحكومـة داخل الحكومة .

وبعد ان اطمأنت بريطانيا الى ان اليهود اصبحوا قادرين على السيطرة على جزء كبير من فلسطين ، دعت الى عقد دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة من اجل مناقشة القضية الفلسطينية .

وفي ١٩٤٧/٤/٢٨ م / ١٣٦٧ هـ انعقـدت الدورة الخـاصـة بحضـور الهيئـة العـربيـة العليـا ممثلة للشعب الفلسطيني والوكالة اليهودية ممثلة لليهود في فلسطين وقررت الجمعية العامة تكليف لجنة تحقيق دولية لدراسة الاوضاع في فلسطين ورفع تقرير للجمعية العامة للأمم المتحدة لدراسته واتخاذ القرارات اللازمة على ضوئه .

وقد استقبل الشعب الفلسطيني تلك اللجنة باضراب شامل لعدم ثقتهم بلجان التحقيق التي سبق ان عرفوها وعرفوا تحيزها .

وقد قدمت اللجنة تقريرها بعد ان انتهت اعمالها ، وكان تقريراً مخيباً لآمال العرب ومتحيزاً للصهاينة ، وطالب التقرير بتقسيم فلسطين الى قسمين يقام على قسم دولة للعرب ويقام على القسم الثـاني دولة لليهـود ، وبهذا يكـون المطلوب من الشعب الفلسطيني التنازل عن قسم من وطنه للغرباء اليهود .

ورفعت اللجنة تقريرها الى الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر سبتمبر عام ١٩٤٧ م وبالرغم من المعارضة العـربيـة العنيفـة لقـرار اللجنـة إلا أن الجمعيـة اتخـذت قـراراً في ١٩٤٧/١١/٢٩ م / ١٣٦٧ هـ يقضي بتقسيم فلسطين .

مشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٧
كما أوصت به منظمة الأمم المتحدة

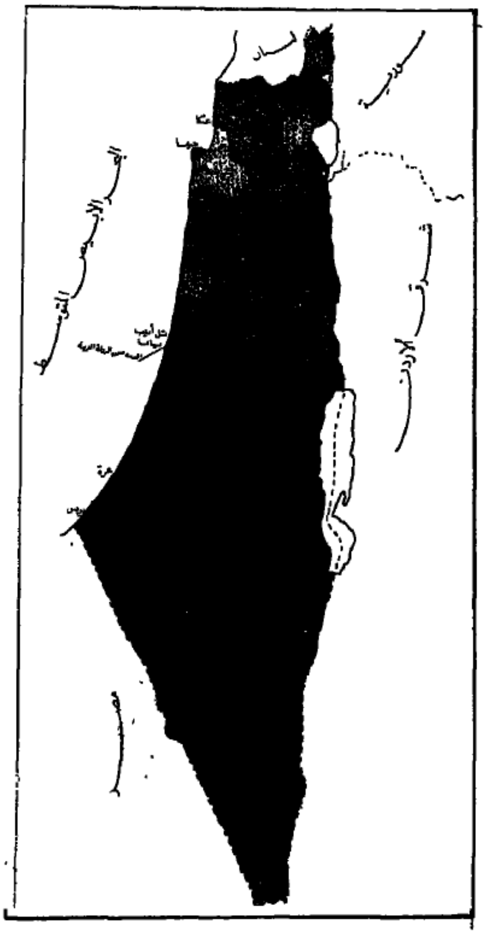

الدولة العربية
الدولة اليهودية
منطقة تحت الوصاية الدولية

وقد استطاعت الولايات المتحدة الامريكية بضغوطها على عدد من الدول ان تجمع الاصوات اللازمة لنجاح القرار المذكور مما تسبب في فضيحة دولية اذ لولا تلك الضغوط لما توفرت الاصوات اللازمة لنجاح القرار الذي يحتاج الى ثلثي اصوات الاعضاء حتى يصبح قرار نافذ المفعول .

وكان عدد اليهود عند صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ م / ١٣٦٧ هـ حوالى (٤٩٩) ألف يهودي كان عشرهم فقط من سكان البلاد الاصليين والباقي من المهاجرين الغرباء الذين احضرتهم بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية من مختلف بلاد العالم وكان هؤلاء اليهود يشكلون اقل من ثلث سكان فلسطين .

ولم يكن يملك اليهود في ذلك الوقت إلا حوالى ٦٪ من اراضي فلسطين وبالرغم من ذلك فقد أعطى قرار التقسيم لليهود (٥٧٠٠) ميل مربع بينما اعطى العرب (٤٣٠٠) ميل مربع أي ٤٣٪ من اراضي فلسطين .

وهذا يعني ان اليهود الذين يشكلون ثلثي أهل البلاد ويملكون ٦٪ من الاراضي ستسلم لهم ثلثي البلاد أي عشرة أضعاف المساحة التي يملكونها بالاضافة الى ان قرار التقسيم اوصى بأن يعطى اليهود الاراضي الزراعية الخصبة بينما يبقى مع العرب الاراضي الجبلية والصحراوية الغير منتجة .

ونظراً للظلم الصارخ الذي وقع على العرب من قرار التقسيم رفضته جميع وفود الدول العربية في الأمم المتحدة وقاومته وأعلن الامين العام لجامعة الدول العربية ورجال الحكومات العربية ان العرب لن يسمحوا بتقسيم فلسطين .

وفي اليوم الثاني لقرار التقسيم أضربت الأقطار العربية والاسلامية احتجاجاً ، وقامت المظاهرات الصاخبة في كل مكان ، وخاصة في فلسطين حيث أعلن الاضراب الشامل وقامت مظاهرات عنيفة اصطدم فيها العرب بالقوات البريطانية التي أطلقت عليهم النيران .

وقامت في عدة مدن فلسطينية مظاهرات يهودية بقيادة قوات (الهاغاناه) تعرب عن فرحتها بقرار التقسيم ، واعتدت تلك القوات على المدنيين العرب ، مما أدى إلى وقوع مصادمات عنيفة بين العرب واليهود .

ولما أيقن العرب ان بريطانيا جادة في تنفيذ قرار التقسيم وإقامة دولة يهودية على أرضهم ، قرروا اعلان الجهاد المقدس ضد بريطانيا والصهاينة لاحباط مشروع التقسيم .

وقد قامت قوات الجهاد المقدس باعداد رجالها وتسليحهم وقسمتهم الى مجموعات وزعت على أربعة مناطق في فلسطين وجهزتهم بما تملك من تجهيزات ومعدات وبدأت كفاحها المسلح في ١٥/١٢/١٩٤٧ م / ١٣٦٧ هـ .

وأما اليهود الذين اشرفت بريطانيا على تسليحهم بأحدث الاسلحة وتدريبهم الى ان اصبح عندهم حيش شبه نظامي (الهاغاناه) فقد إصبح هذا الجيش يتولى حماية المستعمرات اليهودية ، كما أصبح يتلقى كل انواع المساعدات العسكرية والفنية والتجهيزات الحديثة ليتمكن من الوقوف أمام العرب عند انسحاب بريطانيا .

انسحاب بريطانيا ونهاية الانتداب :

أعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين في ١٥/٥/١٩٤٨ م وانها ستتخلى عن مسؤولية الانتداب على فلسطين بعد صدور قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين .

وكانت المعارك الضارية قد نشبت بين العرب بسلاحهم القليل واليهود بأسلحتهم الحديثة وتدريبهم القوي . وبالرغم من اعلان بريطانيا عن رغبتها بالانسحاب إلا انها كانت تشارك اليهود في معاركهم ضد العرب ، ولم تكن تسمح لهم باحتلال أي موقع لليهود . بينما كانت تسلم اليهود المواقع المهمة والحساسة مثل الموانىء والمطارات والمناطق الاستراتيجية .

كما كانت بريطانيا أيضاً تقوم بتسليم اليهود كثيراً من الأسلحة والمعدات الخاصة بالجيش البريطاني وكانت أحياناً تتفق مع العصابات اليهودية على سرقة مخازن الأسلحة البريطانية لتبرر تسليم اليهود تلك الأسلحة .

الفصل السابع

قيام الكيان الاسرائيلي

في ١٩٤٨/٥/١٤ م / ١٣٦٨ هـ غادر المندوب السامي البريطاني في فلسطين وانتهى الانتداب البريطاني رسمياً على فلسطين .

وفي اليوم نفسه اعلن بن غوريون من تل أبيب قيام دولة اسرائيل وألّف حكومة مؤقتة ، سارعت الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي وعدد كبير من الدول الغربية الى الاعتراف بها .

وكان الشعب الفلسطيني يخوض المعارك الطاحنة ضد اليهود الذين كانوا يتلقون الهزائم بالرغم من تفوقهم في السلاح والمعدات وعدد المحاربين المتدربين .

وقررت الدول العربية المجاورة لفلسطين (مصر وشرق الاردن وسوريا ولبنان) المشاركة في المعارك الى جانب الشعب الفلسطيني فأدخلت عدداً رمزياً من جيوشها التي احتلت كثيراً من المواقع التي كان يسيطر عليها الفلسطينيون، الذين كانوا يطالبون اخوانهم في البلاد العربية بتقديم امدادات عسكرية ومالية لهم بدلاً من دخول جيوشهم النظامية في حرب مع اليهود ، لأن الفلسطينيين ظلوا قادرين على تحمل مسؤولية القتال ضد اليهود ، قبل دخول تلك الجيوش .

وقد استطاع المجاهدون الفلسطينيون ان يحافظوا على بلادهم أمام القوات الصهيونية ، بل استطاعوا ان يستولوا على كثير من المستعمرات اليهودية وكانوا في طريقهم الى انهاء اسطورة وجود وطن أو دولة لليهود في فلسطين إلا أن الولايات المتحدة الامريكية والدول المؤيدة للصهيونية استطاعت ان تفرض هدنة بين العرب واليهود لمدة اربعة اسابيع وكانت هذه الهدنة فرصة لوقف الزحف الفلسطيني ومنع القوات العربية من الانتصار وكذلك فرصة لحماية اليهود وامدادهم بكل انواع الأسلحة .

وقامت امريكا اثناء الهدنة بمد اليهود بالطائرات وبأحدث الأسلحة ولما اصبح موقفهم قوياً قاموا بخرق الهدنة واخذوا يحتلون القرى والمدن والمواقع التي كانت تحت سيطرة الجيوش العربية التي انسحبت من كثير من مواقفها بسبب قلة السلاح والذخيرة .

وهكذا انتهت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م بنكبة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً فقام الكيان الصهيوني على أراضي

صورة لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين بعد نكبة عام ١٩٤٨ م

فلسطين التي هي ملك للشعب الفلسطيني واستولى اليهود على اكثر مما اعطاهم قرار التقسيم عام ١٩٤٧ م / ١٣٦٧ هـ .

كما اجلى نتيجة لذلك اكثر من مليون فلسطيني من بيوتهم ومزارعهم بخاصة بعد المذابح البشعة التي قامت بها القوات اليهودية في عدة قرى وأهمها مذبحة دير ياسين المشهورة التي قامت بها العصابات الصهيونية بقيادة مناحيم بيغن الذي اصبح رئيس وزراء اسرائيل فيما بعد ، والذي قام بالتعاون مع وزير دفاعه شارون بمذابح اخرى في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- **فلسطين بعد النكبة :**

وهكذا استطاعت بريطانيا بتأييد من الدول الاستعمارية بخاصة الولايات المتحدة الامريكية ان تقيم لليهود دولة على الارض الفلسطينية العربية وان تشرد مليون مواطن فلسطيني اصبحوا لاجئين خارج وطنهم .

وبذلك اصبحت فلسطين تقسم الى ثلاثة اقسام :

١ - قسم سمي الضفة الغربية لنهر الاردن واصبح جزءاً من المملكة الاردنية الهاشمية ،
٢ - قسم سمي بقطاع غزة تابع لادارة الحكومة المصرية ،
٣ - والقسم الأكبر والأهم سمّي دولة اسرائيل .

كما وأصبح الفلسطينيون العرب سكان البلاد الاصليين مشردين في عدة أقطار عربية وأجنبية . ويبلغ عدد

الفلسطينيين اليوم زهاء خمسه ملايين ونصف المليون نسمة .

وقد أصبح اللاجئون الفلسطينيون منذ عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م ، يعتمدون على ما تقدمه وكالة غوث اللاجئين من مساعدات غذائية ، وتعليمية ولكن الفلسطينيين استطاعوا ان يثبتوا كفاءتهم في الحد والتعلُيم والعمل بحيث اصبحوا يعملون في مختلف الدول العربية ودول الخليج بصورة خاصة ، وأصبح منهم المهندسون والأطباء والمحامين والمعلمين واساتذة الجامعات

كما وتوجه منهم عدة آلاف لتلقي العلم في الجامعات الاوروبية والامريكية وحصلوا على الشهادات العلمية وعملوا هناك في مختلف المؤسسات العلمية والطبية والاقتصادية وأصبح منهم كفاءات عالية مشهورة . كما ساهموا في كثير من أوجه الحياة العلمية والاجتماعية في عدد من بلاد المسلمين في آسيا وافريقيا .

وقد تحسن الوضع الاقتصادي للفلسطينيين نتيجة لذلك وأخذوا ينظمون أنفسهم للعودة الى النضال لخدمة

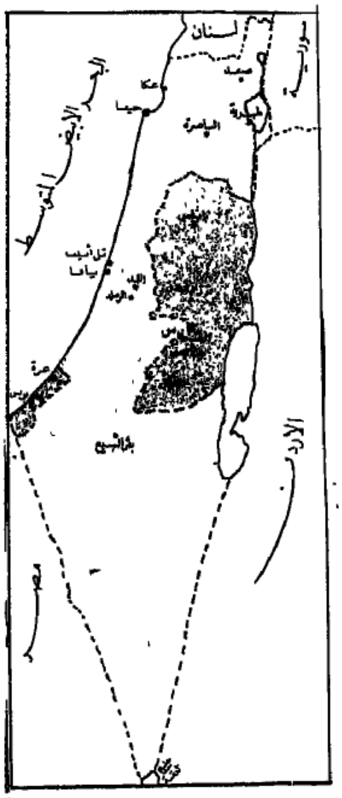

□ اللون البرتقالي مناطق عربية (الضفة الغربية) .
□ اللون الداكن مناطق محتلة (عام ١٩٤٨ م) .

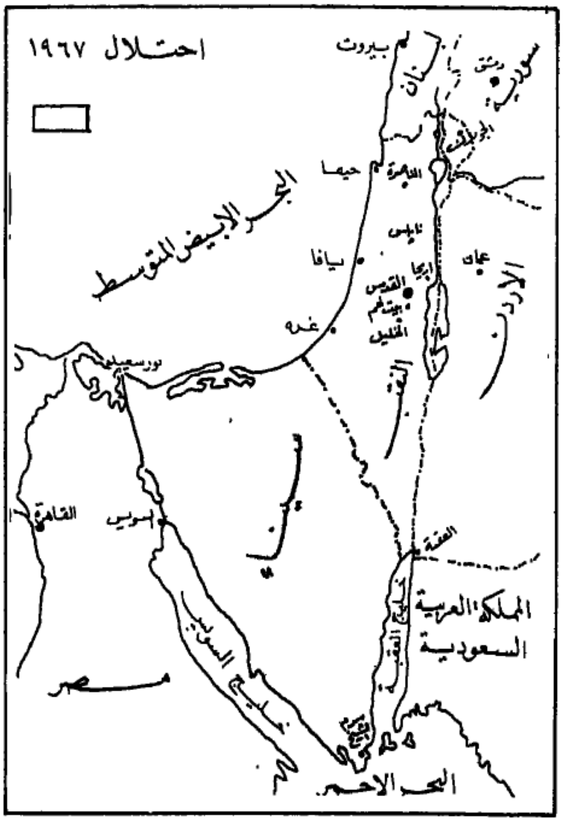

خريطة التوسع الاسرائيلي عام ١٩٦٧ م .

قضيتهم في المحافل العربية والدولية . ولم يكن يتيسر لهم ذلك إلا من خلال الأحزاب العربية او الجامعة العربية ، أو المنظمات الدولية .

ونتيجة للنكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني والهزيمة التي حلت بالجيوش العربية المشاركة في حرب عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م ، حدثت تطورات في العالم العربي خاصة في مصر وسوريا ، أدت الى تغيير نظام الحكم في البلدين . كما اصبح الفلسطينيون اكثر تفاؤلاً في العودة الى بلادهم فلسطين التي لم يقبلوا الاستيطان في أي بلد غيرها ، وكانوا دائماً يعلمون أبناءهم حب الوطن ويغرسون في نفوسهم آمال العودة الى فلسطين ، وكان شعراؤهم وكتّابهم يذكرون شعبهم بفلسطين ويعدون أنفسهم لتحرير وطنهم من الاحتلال الصهيوني . وظل الفلسطينيون يحتفظون بطابعهم الفلسطيني وبحضارتهم وثقافتهم في كل مكان أقاموا فيه او لجأوا اليه .

وقد استطاع الفلسطينيون بعد ثورة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م في مصر ان يشكلوا بالتعاون مع السلطات المصرية، كتائب للفدائيين الفلسطينيين كانت تقوم بأعمال بطولية في جميع انحاء فلسطين ،واستمر هذا الوضع الى ان قامت اسرائيل بمشاركة بريطانيا وفرنسا بالاعتداء على مصر عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م ، واحتلت قطاع غزة وسيناء حتى قناة السويس التي اصبحت تحت السيطرة الاسرائيلية .

ولكن اسرائيل وبريطانيا وفرنسا اضطرت الى الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في هذه الحرب نتيجة للضغوط الدولية .

كما قامت اسرائيل عام ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م باعتداء كبير على الدول العربية المجاورة ، فاحتلت قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ثانية ، كما احتلت الضفة الغربية لنهر الاردن ، وكذلك هضبة الجولان السورية وهكذا اصبحت اسرائيل تحتل منذ عام ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م كل فلسطين أضف الى ذلك كل من سيناء والجولان .

وفي الفترة ما بين حرب ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م وحرب عام ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م تطور العمل الفلسطيني ، وأصبح يعتمد على رؤيا واضحة للعمل الوطني ، وبدأ الشباب الفلسطيني يعمل على تنظيم نفسه في جميع أماكن تواجده من خلال تنظيمات سرية وعلنية ، وأصبح له حركات ومنظمات وطنية تعد العدة للثورة المسلحة التي انطلقت بقيادة كبرى المنظمات الفلسطينية حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في ١٩٦٥/١/١ / ١٩٨٥ م .

وكانت الجامعة العربية قد قررت من خلال مؤتمر قمة عربي أن تكلف مندوب فلسطين في الجامعة العربية ، لبحث امكانية تشكيل منظمة فلسطينية ، فتم تشكيل « منظمة التحرير الفلسطينية » وذلك من خلال المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ م / ١٣٨٤ هـ .

وقد اوضح هذا المؤتمر الميثاق القومي الفلسطيني ، والنظام الأساسي ، لمنظمة التحرير ، وانتخبت جـ" تنفيذية لقيادة الشعب الفلسطيني وأصبحت منظمة التحرير الفلسطينية تمثل الفلسطينيين في الجامعة العربية والمنظمات الدولية ، كما شكلت منظمة التحرير الفلسطينية جيشاً فلسطينياً الى جانب الجيوش العربية .

وتعرض الشعب الفلسطيني لاعتداءات من جيش العدو من أهمها عدوان ١٩٧٨ وعدوان عام ١٩٨٢ فصمد الشعب الفلسطيني امام هذه الاعتداءات وقام بعد ذلك بانتفاضته في الأرض المحتلة عام ١٩٨٧ م .

الانتفاضة الفلسطينية

واصل الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة جهاده ونضاله ضد العدو الصهيوني وضد ممارساته القمعية من قتل وتشريد وسجن وابعاد وهدم للبيوت ومصادرة للممتلكات . وانطلاقاً من هذه المبررات ، هب أطفال فلسطين ـ الذين ولدوا وعاشوا تحت الاحتلال الصهيوني ـ لمكافحة وجهاد العدو الصهيوني بالحجر وهو رمز المقاومة للانتفاضة التي بدأت في التاسع من ديسمبر ١٩٨٧ .

قبل قيام الانتفاضة ، تشكلت لجان التوعية ولجان الشبيبة في كل حي وفي كل شارع في كل قرية ومخيم ومدينة ، كما كان للمسجد دور كبير في توعية الشباب والأطفال وحثهم على الجهاد ، فانطلق الاطفال مسلحين بايمانهم بالله ، وبحقهم في العودة إلى وطنهم واقامة دولتهم المستقلة ، وبدأ الأطفال انتفاضتهم المجيدة بالحجارة وتطورت الى المقاليع وقنابل المولوتوف وإطارات السيارات المحترقة .

ومن اهم اسباب الانتفاضة :

١ ـ التصميم على التخلص من الاحتلال .
٢ ـ الطبيعة العنصرية والاستعمارية الاستيطانية للاحتلال .
٣ ـ تصاعد أهمية الاعتماد على الذات الفلسطينية في موضوع الصراع العربي الصهيوني .
٤ ـ عدم التفات الرأي العام العالمي الى قضية الشعب الفلسطيني .

أما خصائص الانتفاضة :

١ ـ الشمولية ، فقد شارك الشعب الفلسطيني بكافة فئاته وطبقاته في كافة مدن وقرى ومخيمات وأحياء شعبنا .
٢ ـ الوحدة الوطنية : الانتفاضة جسدت تلاحم الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده والتفافه حول ممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية .
٣ ـ القدرة الهائلة على التنظيم : تجلت هذه القدرة في تكوين إطار السلطة الوطنية ، عن طريق اللجان الشعبية التي انتشرت في كل حي وشارع وقرية ومخيم ومدينة .

٤ ـ القدرة الهائلة على التضحية : قدم الشعب تضحيات عظيمة وجليلة بالرغم من تصاعد أساليب البطش الصهيوني ، إلا ان الإرادة الوطنية الفلسطينبة ظلت هي الأعلى وهي الأقوى والاصرار على النضال والجهاد هو الأشد .

٥ ـ الوضوح في الرؤيا والثقة بالنفس : يدرك الشعب الفلسطيني منذ بداية الانتفاضة ماذا يريد ويتحدث بكل وضوح عن أهدافه المرحلية والاستراتيجية ، وهي تنطلق في هذا من ايمانه بالله ثم ثقة بالنفس قوية .

٦ ـ الاستمرارية : اكد الشعب الفلسطيني على قدرته في استمرارية هذه الانتفاضة .

أهداف الانتفاضة :

حددت الانتفاضة أهدافها المرحلية والبعيدة والتي انطلقت من الثوابت والمرتكزات الفلسطينية .

أما الأهداف المرحلية فتطالب بتأمين الحماية الدولية للشعب الفلسطيني والغاء كافة مواثيق وأنظمة الاحتلال ووقف سياسة القمع الطرد والمصادرة . في حين طالبت الأهداف البعيدة بحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير مصيره وإقامة الدولة المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف .

انجازات الانتفاضة

حققت الانتفاضة انجازات عديدة على عدة صعد هي الفلسطينية والعربية والعالمية والصهيونية .

أ ـ على الصعيد الفلسطيني : جاءت الانتفاضة لتتوج مرحلة جديدة من الجهاد الفلسطيني المستمر بكافة اشكاله وعبر مراحله التاريخية المتعددة ، ومن أهم هذه الانجازات :

١ ـ استعادة الشعب الفلسطيني ثقته بنفسه وبدوره المجيد في الاسهام بمسيرة تحرره الوطني .

٢ ـ تلاحم الشعب الفلسطيني بكافة فئاته الاجتماعية وقواه الوطنية بغض النظر عن اماكن تواجده .

٣ ـ كسر حاجز رهبة جيش الاحتلال وسمو روح التضحية .

ب ـ على الصعيد الاسلامي : ومن اهم منجزات الانتفاضة على الصعيد الاسلامي :

١ ـ اتساع حركات التضامن الشعبية والدعم والتأييد للانتفاضة وشعبها ومنظمتها .

٢ ـ خروج مؤتمر قمة الانتفاضة الذي عقد في الجزائر يوم ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ بقرارات حسمت قضايا اساسية منها حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير واقامة الدولة المستقلة وتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية له ، وحقها في المشاركة في المؤتمر الدولي على قدم المساواة مع الأطراف الاخرى .

٤ ـ سقوط كافة الخيارات والحلول الجزئية والمناورات المعادية وبقاء الخيار الوحيد وهو الخيار الفلسطي لذي يطالب بحق التحرير والعودة .

ج ـ على الصعيد العالمي : حققت الانتفاضة على هذا الصعيد انجازات هائلة فاقت ما حقق في هذا المجال عبر السنوات الاربعين الماضية ، ومن اهم هذه الانجازات :

١ ـ دخلت الانتفاضة كل بيت في العالم ، وكسب شعبنا احترام وعطف الغالبية الساحقة من شعوب العالم .

٢ ـ ازداد الإعتراف العالمي بعدالة قضية هذا الشعب وضرورة حل القضية بما يتفق والحقوق الفلسطينية الثابتة .

٣ ـ انضمام أوساط عديدة في العالم إلى صفوف أصدقائنا مطالبين بضرورة تحقيق الحل العادل للشعب الفلسطيني .

٤ ـ حققت منظمة التحرير الفلسطينية مكانة دولية رفيعة جديدة .

٥ ـ ازدياد القناعة الدولية بضرورة عقد المؤتمر الدولي لحل النزاع العربي الاسرائيلي .

٦ ـ أولت الأمم المتحدة أهمية قصوى للقضية الفلسطينية وتبنت مجموعة من القرارات لصالح الشعب الفلسطيني .

٧ ـ كشف زيف ادعاءات العدو الصهيوني ووضعه امام العالم في قفص الاتهام وتقويض الاسس المضللة التي بنى عليها الكيان الصهيوني دعايته في العالم .

٨ ـ اعتراف عشرات الدول بالدولة الفلسطينية التي اعلنت في المجلس الوطني الذي عقد في الجزائر .

د ـ على الصعيد الصهيوني : تركت الانتفاضة اثارها العميقة على المجتمع الصهيوني واخذت تتفاعل في داخله الازمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

١ ـ ففي الجانب الاقتصادي تحولت الاراضي الفلسطينية من مصدر ربح صافي كان يدر دخلاً سنوياً على العدو يصل بحده الأدنى الى ١,٨ مليار دولار الى عبء اقتصادي يكلف خزينة العدو ما يزيد عن ٥ ملايين دولار أمريكي كل يوم .

ب ـ على الجانب السياسي والاجتماعي : انقسام المجتمع الاسرائيلي وظهور جناح متطرف ينادي بطرد وابعاد الفلسطينيين . كما ازدادت في الوقت نفسه قوة التيار الديمقراطي والقوي المؤيد للسلام والتي تؤيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره .

٣ ـ انتشار ظاهرة رفض الخدمة العسكرية في الاراضي الفلسطينية .

٤ ـ تغيير الموقف من منظمة التحرير الفلسطينية

٥ ـ فرضت الانتفاضة على الحركة الصهيونية اعادة النظر في العديد من المقولات كأرض اسرائيل الكبرى وغيرها .

٦ ـ انتشار مظاهر انماط سلوكية داخل الكيان الصهيوني ، حيث ازدادت مظاهر العنف والانتحار واستعمال المخدرات .

فهرس كتاب المرحلة المتوسطة

تصدير ٥

تقديم ٧

الباب الأول : جغرافية فلسطين .... ٨ - ٢٠

- **الفصل الأول** : الموقع الجغرافي لفلسطين .... ٩ - ١٠
- **الفصل الثاني** : المساحة والسكان .... ١١ - ١٢
- **الفصل الثالث** : الاقسام الطبيعية والمناخ .... ١٣ - ١٦
- **الفصل الرابع** : المجتمع الفلسطيني وأنماط حياته .... ١٧ - ١٨
- **الفصل الخامس** : النشاط الاقتصادي .... ١٩ - ٢٠

الباب الثاني : فلسطين عبر العصور .... ٢١ - ٤٢

- **الفصل الأول** : الاقوام الغازية لفلسطين قديماً .... ٢٣ - ٢٨
- **الفصل الثاني** : فلسطين الاسلامية .... ٢٩ - ٣٢
- **الفصل الثالث** : الغزو الصليبي للبلاد الفلسطينية .... ٣٣ - ٣٥
- **الفصل الرابع** : فظائع الغزو الصليبي في فلسطين .... ٣٦ - ٤٠
- **الفصل الخامس** : العهد العثماني .... ٤١ - ٤٢

الباب الثالث : الاستعمار الاوروبي لفلسطين .... ٤٣ - ٨٢

- **الفصل الأول** : الصهيونية .... ٤٥ - ٤٨
- **الفصل الثاني** : الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور .... ٤٩ - ٥١
- **الفصل الثالث** : الانتداب البريطاني على فلسطين .... ٥٢ - ٥٦
- **الفصل الرابع** : جهاد عرب فلسطين ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني .... ٥٧ - ٦٦
- **الفصل الخامس** : الحرب العالمية الثانية ونتائجها على القضية الفلسطينية .... ٦٧ - ٧٠
- **الفصل السادس** : قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م .... ٧١ - ٧٣
- **الفصل السابع** : قيام الكيان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ م .... ٧٤ - ٧٨

الانتفاضة الفلسطينية .... ٧٩ - ٨٢

تاريخ فلسطين وجغرافيتها

المرحلة المتوسّطة

تأليف

الأستاذ رفيق شاكر النتشة
د. إسماعيل أحمد ياغي
د. عبد الفتّاح حسن أبو علية

Bibliotheca Alexandrina
0093128

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تاريخ فلسطين وجغرافيتها

ما من شك في ان القضية الفلسطينية بعامة ، وقضية القدس بخاصة ، تعد القضية المركزية الأولى سواء بالنسبة للدول الاسلامية ، او لشعوبها . انها القضية التي من اجلها عقدت المؤتمرات العديدة ، سواء على مستوى القمة او سائر المستويات الأخرى ، وصولاً الى تحرير فلسطين ، وعودة اهلها الى ديارهم ووطنهم .

وكل البلدان الاسلامية كافة كرست اهتماماتها للقضية الفلسطينية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاعلامية والدينية والثقافية . ومن اهم القرارات التي اتخذتها الأقطار الاسلامية كان ذلك القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الكويت ، استنادا الى الاقتراح الذي طرحه الوفد السعودي بالاتفاق مع وفد منظمة التحرير الفلسطينية ، أثناء المؤتمر الذي عقده في صنعاء وزراء خارجية الدول الاسلامية في ديسمبر ١٩٨٤ م . وقد دعا هذا القرار الى تدريس تاريخ فلسطين وجغرافيتها على مختلف المستويات التعليمية ، وذلك طبقا لما تضمنته المناهج الدراسية المقدمة من الوفدين .

وبناء عليه ، فإنه لمن دواعي سعادتي ان اقدم هذا الكتاب ليصار الى تدريسه لأبنائنا ، والذي قامت بتأليفه نخبة من المختصين في القضية الفلسطينية وهم سعادة الاستاذ رفيق شاكر النتشه ، سفير دولة فلسطين السابق في المملكة العربية السعودية ، والدكتور اسماعيل ياغي والدكتور عبد الفتاح ابو علية . علماً بأنه سبق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو) ان اقرت تدريس هذا الكتاب ..

هذا ، وانني اذ أقدر للأخوة جهودهم في وضع الكتاب ، لأتضرع الى الله العلي القدير ان تجد هذه البراعم اليافعة من أجيال الأمة الاسلامية في هذا الكتاب ما يفيدها في عقولها وافئدتها ، وما ينير بصائرها ويساعدها على تدبر عاقبة امرها ونصرة قضيتهم الأولى ، قضية فلسطين . كما واتضرع اليه تعالى ان يمنح شعب فلسطين المجاهد النصر المؤزر ويمن عليه بالقوة والمنعة لاستعادة وطنه السليب ، ويمكنه من اقامة دولته ، دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشريف . انه هو السميع العليم .

الدكتور حامد الغابد
الأمين العام
لمنظمة المؤتمر الاسلامي

الغلاف : زهير أبوشايب

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ، ساقية الجنزير بناية برج الكارلتون ، ص ب ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي : موكيالي . هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس : LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧